الأدب الكردي بين الحقيقة والأمل

الأدب الكردي بين الحقيقة والأمل 1

الأدب الكردي بين الحقيقة والأمل 2

دلاور زنكي

الأدب الكردي
بين الحقيقة والأمل

(مجموعة مقالات)

حقوق الطبع والنشر محفوظة

المؤلف: دلاور زنكي

اسم الكتاب: الأدب الكردي بين الحقيقة والأمل.

تقدمة: آلان حمو.

الاخراج الفني: رويار زنكي

الطبعة الأولى: قامشلو ٢٠١٥م

الطبعة الثانية: قامشلو ٢٠٢١م

مطبعة: بيلا

إهداء

إلى الشاعر المبدع هادي بهلوي

مع فائق الاحترام والتقدير

دلاور زنكي

مقدمة

رقي الشعوب عملية معقدة، يتشارك فيها الكثير من المجالات والسبل لتوطيد شيء هو مزيج من الماضي والحاضر والمستقبل، ليشار إليه للاختصار فقط، وليس للاستصغار، بمصطلح الحضارة. فالحضارة كائن عضوي حي له ما للأحياء من صفات وقوانين يتأطر به، كالميلاد، والنمو، والموت. أي له طفولته، وفتوته ونضوجه، وأيضاً شيخوخته. ومن أحد المقومات الكثيرة – إن جاز التعبير- في قيام الحضارة هو أدب الشعوب (الفلكلور). وما يتضمن هذا الكتاب المؤلف من مجموعة مقالات هي مناجات من الكاتب والحاحاً منه لأبناء جلدته بالالتفات إلى أدبهم والاهتمام به ليكون في مصاف الادب العالمي.

يسبر كاتبنا في هذا الكتاب اغوار الأدب العالمي باختلاف أجناسه، كالقصة والرواية، التاريخية منها والحديثة (الخيال العلمي)، والتراجيديا- ولزوميتها - في الرواية الكوردية، ومتحدثاً عن الميثولوجيا في الأدب المحكي الكوردي دون عمل الأدباء الكورد على تطويرها، والفانتازيا في الأدب وتأخرها كوردياً، كما لا يغفل عن فن التمثيل (الفن المسرحي، السينما) كمساهم اساسي في تطوير الأدب، ويقف وقفة جادة وبشيء من التشدد عند النقد الأدبي وسوء استعماله كوردياً. وبعملية نقلية موضوعية، موجداً الصور لإسقاطها على واقع الأدب الكوردي،

كاشفاً مكامن الضعف والشلل الذي أصاب اطراف أدب شعبه ليحيل دون حركته، مستعيناً بخبرته الطويلة في محافل الادب الكوردي. كيف لا.... وهو الذي عاصر وتتلمذا على أيدي فطاحل شعبه في الادب، كـ جكرخوين، أوصمان صبري، تيريز، يوسف برازي، روشن بدرخان .. تلك المنارات الشامخة، الذي نقل هو بدوره اضوائهم إلينا. مستخلصاً ومكتشفاً من كل تلك التجارب التي حدثت معه ضالته التي هي ضالة شعبه أيضاً ألا وهي الرقي بأدب أمته، محثاً اقرانه من الادباء والكتاب أن يحذو حذوا من كانوا أساتذته في الأدب ليوصلوا رسالتهم التي أوصوا بها. ينوه الكاتب أيضاً لكثرة العقبات التي واجهت اللغة الكوردية جراء السياسات المطبقة من قبل مستعمري كوردستان، وكيف حافظة اللغة على نفسها من الضياع والانصهار. والعقبات هي الآن أسباب لقوتها ومتانة بنيانها في حاضرنا هذا.

بوقفة لا تطول مع هذا الكتاب سيبرهن لنا كم الكورد بحاجة إلى مثل هذا النوع من المضامين، التي تشير إلى قلة اهتمامنا بأدبنا، وتقاعسنا في تطويره، ويظهر لنا كم نملك أحجاراً رخيمة وقوية في أساس وبنيان أدبنا، ولكن وللآسف دون بناء يذكر. وكأن الكاتب يوبخنا بإيماءاته التي تشير إلى عظمة أدب الشعوب، دون أي شيء يذكر لأدبنا في محافلهم. فهو يسعى بأن يقول: أين الدراسات لأدبنا لتغنيه عن الاسفاف والهوان، أين أدبنا من التتويج العالمي (جائزة نوبل للآداب).

ما استطيع قوله وبشيء من الإيجاز عن مضمون هذا الكتاب. أنه تحريض لحد الثورة، موجه لكل من يجد نفسه في حقل الأدب، دون أن يكون فلاحاً نشيطاً. فالكتاب يتجرد ويبتعد كل البعد عن اسلوب التجميل والزغارف الزائفة لملكات شعب يتجهز بتوق للرقي والحضارة، بل يحثه على العمل بحيوية لينقذ حضارته من الشيخوخة وأرذل العمر.

آلان حمو

٢٠١٤-٤-١٠

دور الأدب وأثره

إن الآداب خَلْقٌ إبداعي أنساني لا ريب فيه، يستمد قواعدهُ وأركانه من عمق الحياة. والفنون الأدبية كائنات حية ذات نفس وروح تنبع من أخيلة المرء وأحاسيسه ورؤيته وتأملاته الشتى. وما العمل الأدبي سوى كلام مدوّن تقيّده الكتابة، وتحفظه السطور، والأدب يعلّم الإنسان كيف يبدع في صنعته ويخلق من عمله فناً فذاً وفريداً... والأدب سرّ من أسرار الجمال وروعة ما تنتجه قرائح الفنانين.

في غابر العهود كان الأدب الشفهي راسخاً ووطيداً في ذاكرة الناس وأذهانهم، وفي هذه الأيام وجد لنفسه حيّزاً فسيحاً في عالم الكتابة والتدوين فغدا أكثر قوة وثباتاً لا يخشى عليه من النسيان أو الضياع. وهو فوق هذا وذاك أكثر تأججاً وسطوعاً. وأننا في كل الحالات نؤمن بأن الأدب أم لألوان وأصناف جمة من الفنون وأولئك الذين يشتغلون بالفن السينمائي والتمثيل المسرحي وبالعزف والتلحين وغير ذلك قد يجدون فيه فوائد ومنافع جسيمة ويعثرون فيه على ضالتهم إن كانوا يبحثون عن ضالة. ولما كان الأدب منوطاً بالكلمة ومرهوناً باللغة ولا يبرز إلاّ في ساحة اللغة وميادينها وجب على الكاتب أو الأديب أن يتقن اللغة التي يعبّر فيها عن خلجات نفسه. ومتى اجتمعت له هذه الشروط وتوفرت له الأسباب كان من حقه أن يشرع في الكتابة ويضع فنَّه نصب أعين القراء وأبصارهم. وهو حين يباشر صنعته الأدبية يعلم أنه

يضع عمله في ميزان المجتمع الذي سيرى فيه رأيه ويحكم عليه بقدر ما أحسن أو أساء، وبما هو جدير به من مدح أو قدح وذم. وكلما كان الأديب مؤثراً وصاحب دور كبير في نظر المجتمعات كانت مسؤوليته جسيمة بقدر حجم دوره وتأثيره، وسلاح الأديب هو الكلمة الأنيقة المشرفة التي تنقل إلى القارئ الشكل والمضمون والرؤية وسائر الأحاسيس التي تزخر بها روحه، وعليه أن يصون هذا السلاح عن الإسفاف، ويحافظ على رونقه.

إن الكلمة تحرّك مشاعر الناس، وتعبث بعواطفه وتدفعه إلى التفكير والتأمل، وتستطيع أن تتحكم في زمام فكره. وفن الأدب عند مقارنته بالفنون الأخرى نجده أكثر شيوعاً وشمولاً لا تقيده الأزمنة والأمكنة ولا تكبح توغله حدود أو سدود، ولا توصد دونه الأبواب في أي جزء من أصقاع الأرض... وفي وسعه الولوج في كل صعد الحياة.

للجمال أهمية بالغة في ميزان الأدب، وللملاحة والجمال لونان أو شكلان أو صنفان... جمال الأمنيات والآمال... وجمال التكوين والخلق– بخبرته وعلمه وطول مراسه- يسعه إدراك هاتين الحقيقتين ومعرفة الغث والسمين وتمييز الجيد من الرديء، ونقد هذا العمل أو ذاك وتقييمهما. ومن البداهة أن نعلم أن الرواية والقصة والشعر وكتابة التاريخ والتمثيل والعمل المسرحي ضروب مختلفة ومتفاوتة تنضوي تحت جناحي الأدب

ومن الأدب تنبثق وتتفرع بل هذه الفنون بأسرها هي الأدب نفسه وإن كانت لها أسماء متغايرة ومتباينة.

إن تاريخ الأدب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الوعي والإدراك والانفتاح الذهني والتوقد الفكري عند الإنسان، ولهذا يبدو لنا أنَّ تقدم الشعوب والأمم ورقيها في هذا العالم يجريان على قدم المساواة مع ما تمتلكه من الآداب. إن الأدب هو رحيق الحياة، وخلاصتها وحقيقتها، فيه تتجلى صورة المستقبل والأيام القادمة. يقول الكاتب ارنستو ساباتو- من أمريكا اللاتينية: لو أنكم صددتم احدهم عن الخوض في التأمل والتخيّل وألجمتم خياله فكأنما تمضون به إلى هاوية الجنون.

لقد كان الأدب دائماً أداة فعالة في تغيير المجتمعات وسلوك الإنسان ومجابهة الأوضاع الاجتماعية وكانت له الغلبة لأنه أكثر الأدوات بأساً وتأثيراً. وكم سار الأدب بالإنسان المكبل إلى رحاب الحرية، وأنقذت الأفكار الشاذة من جنوحها وجنونها.. ولربما خاض الأدب معارك ضارية ومر بأوقات عصيبة وتعرض للبطش والهمجية ولكنه كان يخرج منها في خاتمة المطاف منتصراً، مكللاً بالظفر والفلاح.

إن الأدب هو غصن من أغصان دوحة الفنون وفرع من فروعها وقوامه اللغة والكلمات، بل اللغة هي التي تجعل من الأدب فناً، كما تصنع الأصواتُ الألحانَ والموسيقى وتجعلهما فناً وكما تكون الألوان أداة في صناعة فن الرسم، وايضاً عتاد

النحات هو الحجر والمعادن، بذلك تكون الكلمة –بالمقارنة مع الفنون آنفة الذكر- كالصوت واللون والحجر والمعادن عنصراً رئيسياً واساسياً في الادب. إذن فالكلمة الجميلة هي حجر الاساس في الأدب ليكون أحد الفنون الجميلة ولعلها أكثرها رفعة وسمواً وجمالاً.

لقد رأينا – كما مرّ بنا- أن للأدب دوره المؤثر في حياة الجماعات والأمم –وليس في ذلك من خلاف- كبير وهام يفضي بها إلى التقدم والرقي،. والأدب في حديثه عن العلوم الاجتماعية يؤدي إلى الرقي الاجتماعي، وحين يكون حديثة من المسائل المعنوية يؤدي إلى الرقي الروحي والتهذيب النفسي لدى الإنسان. وأننا نعلم أن الأدب الكردي بلونه الشفهي الشعبي والمدوّن كان له دور فعّال في حياة الشعب الكردي وكان حافزاً له في مجال تقدمه الاجتماعي وإرهاف حسه الوطني والقومي. ولا نظن أن أحداً يجهل الأثر العميق في الأوساط الكردية، الذي تركته قصائد الشاعر علي الحريري، وفقي طيران، والملا أحمد الجزيري وملحمة "مم و زين" التي وضعها الشاعر: ملا أحمد خاني. ولا نعني أن الكُرد وحدهم دون الأمم والأقوام الأخرى تأثَّروا بالأدب، ولكنَّ جميع شعوب العالم تأثرت به واحتلت مكانة مّا من الرقي والتقدم. ويؤيد رأينا هذا أن كثيراً من الفلاسفة والعلماء والمفكرين- حسب إسفار التاريخ القديم والحديث- قد

أشادوا بهذا الأثر الذي تتركه الآداب في عقول ونفوس الناس في كل زمان ومكان.

إن فلاسفة العهود القديمة مثل أفلاطون وأرسطو تناولوا في كتاباتهم المسائل الأدبية وتأثير الأدب في المجتمع. ويزعمون أنَّ العمل الأدبي يزخر بالجمالية، والرهافة، والرقة، وهذه الأعراض ترفع معنويات المجتمع وتنعشها وتزرع في روحانيته بزور الجمال والذوق الرفيع. إن دور الأدب كبير جداً وتأثيره أيضاً كبير جداً، لأنه يخاطب الجانب المعنوي في الناس، فيثيرهم ويهيجهم... إنه يهيمن عليهم ويبسط سلطته على كل ما في دخيلتهم من حب وكراهية وخشونة ولطافة وقسوة ولين وكل ما في هذه الدخيلة من حسنات وسيئات، ومن محاسن ومساوئ.. وهو مطلق التصرف في أحاسيسهم... وذو تأثير في أفراحهم وأتراحهم ومباهجهم وآلامهم وفلسفاتهم وتعلمهم وتلقينهم الروحي.

في كتاب "ماذا نعمل" أو "ما العمل" يدافع مؤلفه تشيرنيشفسكي عن حقوق المرأة، ومساواة المرأة بالرجل حيث يقدم فيه نظاماً اجتماعياً للمجتمع حيث بالأدب جعل من قانون كان صعب على الكثير من المجتمعات الإيفاء بها أمراً يعمل به كشيء من فطرتهم.

وفي الأدب صور من الحب والملهاة والمأساة ورموز عن الحياة الاجتماعية، وضرورات أخرى. وليس فيه ما قد كان

وحسب بل فيه ما يجب أن يكون، فعند الحديث عن أمور ينبغي لها أن تكون فإنها تغدو للمجتمع آفاقا واسعة ورحيبة وتغدو منارة لتطور المستقبل القادم ورقيِّهِ. وتصبح أهدافاً جوهرية في دنيا الناس.

إن المؤرخ أو بالأحرى كاتب التاريخ قانع بالواقعات والأحداث التي جرت في الماضي، لأنه لا يستطيع أن يخرج من حيِّز الزمن الغابر. ولكنَّ الأديب أو كاتب الأدب يستطيع في عمله القصصي أو الروائي أن يحاول أن ينعتق من ربقة الزمن ويحبك الأحداث ويستحضر المستقبل كي يأتي بشيء جديد كان يجب ان يكون. وبوسائله الخاصة يصحح الأخطاء ويقوّم ما اعوجّ من الأشياء حتى تستقيم في ميزانه الأدبي. إن كاتب الرواية ذو معرفة ودراية بسيرة الأشخاص وحياتهم ولكنه يتحراها بطريقته الخاصة ويدقق فيها بأسلوبه الفلسفي ويخرج منها بفكرة جديدة. وحين يمعن الفكر في حياة الناس يستخرج خواطرهم ومعاناتهم النفسية ويضعها أمام الأعين والأسماع، ويحدد شخصياتهم وروحانياتهم ويرسم كل ذلك حسب رغبته ومشيئتهِ استناداً إلى معاييره وموازينه .. وهكذا يصنع عالماً في شكل أدبي، عماده الفضائل والمثل العليا يتميّز بالخصوصية والتفرد. وفي هذا العالم الخاص تتشكل الأشياء كما يريد الأديب ويتمنى.

إننا نجد في الأعمال الأدبية التراجيدية ما يشعر القارئ بالأسى والتألم وفي ذلك يتجلى تأثيره العميق في نفسية أفراد المجتمع. وفي الأعمال الأدبية العالمية المتفرقة هنا وهناك نتعلم أن الإنسان هو نفسه أينما كان موقعه على أرض البسيطة في، وأينما كان موطنه. ونتعلم أن الهموم والأكدار والمباهج والأفراح والضحك والبكاء والفرح والترح والحسرات والأسى، والعشق والحنين، والإيثار والأنانية، وحب الأطفال أشياء معنوية يشترك فيها البشر أينما كانوا وأينما وجدوا. وهم فيها سواسية. وفي الآداب العالمية نقرأ عن نماذج بشرية أفرادا وجماعات فيها شخصيات أكل الحسد قلوبها وتمكن منها المقت والكراهية، وعن مفكرين وعقلاء. مثال ذلك أننا نجد في مسرحية الشاعر الشهير "شكسبير" شخصية أطلق عليه الشاعر اسم "إياغو" وهو اسم لرجل أفّاك، يمتهن الكذب صناعة وحرفةً، مفعم النفس بالحسد والغرور والخيلاء، والادعاء الأجوف، والتبجح والنميمة، والمشي بين الناس بالفساد. وكأنما يريد الشاعر أن يصوره لنا كتلة تتجسد فيها المثالب والسيئات تختزل فيها كل الشرور والآثام. فلو أن هذه الصفات والأسماء رسمت على لوحة لكانت تعبيراً عن الهوام والتماسيح والثعابين والعقارب، ومثل هذا النموذج أو هذا الطراز لا تخلو منه المجتمعات وهذا يدلنا على أن العمل الأدبي ليس مقصوراً على رقعة واحدة أو مكان واحد بل هو وطني وعالميّ.

ومن أهم الجوانب في الأعمال الأدبية "لا الأعمال كلها" التي تجذب الانتباه الجانب التثقيفي التعليمي الجمالي، الذي يكسب منه رهافة الذوق والإحساس بالجمال، وتلقِّي المعرفة. وبفضل هذا الجانب يتمم الأدب محاسن الأعمال الفلسفية والتاريخية ويتدارك نواقصها وعيوبها. إنه يضع الماضي في حالة ثبات وصمود، ويخفف من صلابة الفلسفة ويلطف خشونتها و قسوتها. وهكذا يكون تأثير الفلسفة في المجتمع أعظم وأجلَّ من تأثير الفلسفة والتاريخ في مضمار التعليم والإرشاد. وبفضله يتعلم المرء غايات الناس الخاصة ومثالياتهم ويعرف أشكالاً من الخصومة والصراع وملامح الحياة الخاصة. وأشكالا من الاتحاد والتضامن. ويتعلم منه السبيل إلى الفضائل ومعاني النبل والطهارة والعيش في حياة سعيدة كريمة ثم تصبح هذه المكرمات مرآة مجتمعه. وللأدب مقاييسه ومعاييره التي يحدد بها العلاقات الاجتماعية والأهواء النفسية لدى الأشخاص.

وهذا التأثير الذي أكثرنا من ذكره هنا وهناك يتأكد فعله عند العملية الانتقادية والتحليل المنطقي.

ولما كانت الأعمال الأدبية مرآة المجتمعات فقد ظهرت على صفحتها أجناس من الصراع الاجتماعي إلى جانب الخصومات الأخرى. فإننا نرى الأديب اليساري- على سبيل المثال- يصوغ أعماله الأدبية حسب الحاجات النضالية في الصين. وهكذا يضع أدبه في خدمة أهداف المجتمع التي تكافح ثورته من أجلها. وفي

الجانب الآخر يكرس الأدباء الوطنيون أو القوميون كتاباتهم لتأجيج جذوة الدعوة وإنعاش حيويتها. وفي هاتين الحالتين تؤدي كل فئة وظيفتها مع التزامها بمبادئ الهدف الذي تسعى وتدعو إليه، لاستمالة الجماهير وكسب تأييدها. ويؤيد وجهة نظرنا في أن للأدب وظيفة اجتماعية وسيكولوجية. ما جاء في كتابات بعض النقاد الأدباء. مثل: بلنسكي، و دوبروليوبوف، و تشيرنشفسكي.

وقد كان للنقد الأدبي أعظم الأثر في الشعوب الأوروبية. إبان عصر النهضة، وكانت بداية ظهوره مقترنة بظهور النقد الأدبي الذي جاء به أصحاب النظرية القائلة: لكي نكتشف حقيقة شيء من الأشياء ونوضحها لا بدّ لنا من معرفة الأسباب التي أحاطت بها. وللوصول إلى هذه النتيجة لا بد من الإشارة إلى الملابسات المنطقية وبيانها. وهذا ما حدث في تاريخ المجتمعات الإنسانية وبشكل خاص في المجتمع الأوروبي على النمط الأنف الذكر في عهد النهضة والتجديد.

وفي أيامنا فإن الباحثين الذين لهم خبرة ومراس بالتاريخ ينظرون إلى الأدب القديم وكأنه منبع ثري للبحث في تاريخ المجتمعات. ومن العبث أن ننكر فضل الآداب على تحقيق "الجمالية" في المجتمع. هناك معضلات ومسائل معقدة يتناولها الأدب عن طريق التخيل والتأمل. وإننا لنعثر على الجاذبية والتشويق في أسلوب: "إبسن" وطريقته، ونجد فيهما الحشمة

والرقة واللطافة لأنه يفكر بطريقة خيالية. وفي أعمال كتاب الأدب المتأثرين بمدرسة "أفانت كاردي" مثل "كافكا" و"آرثر ميلر" و "و.فولكنز" و "س.بكت" و "ج.جوك" بحوث مطولة ذات شأن كبير في ذكر المجتمعات وخصائصها وتفكيرها. وفي أوساط المجتمعات التي يحكمها النظام الرأسمالي ظهرت أعمال فردية عن الحالات النفسية التي يعانيها الناس في ظل هذا النظام. وتتجلى عظمة الوظيفة الأدبية التي تتناول المسائل الاجتماعية. في إحساس الأفراد وروحانيتهم. عندما يعبّر الكاتب في عمله الأدبي عن الابتهاج أو الخوف أو العشق أو السلوان فإنه يمنح شعور القراء هذه الأشياء المعنوية ويغرسها في ذهن المجتمع، فتكون كتاباته مطيّة أو صلة وصل بينه وبين المجتمع. وعند ما ينقل الكاتب أفكاره وآراءه على صفحات منشورة فإنها تصير من ممتلكات القراء وتصبح من عائدات المجتمع، وعندئذ لا يكون الكاتب وحده صاحب تلك الأفكار والأحاسيس وبعبارة أخرى يغدو المجتمع شريكاً له.

يقول بعض المفكرين والعلماء والمنظرين "أصحاب النظريات" والفلاسفة والمثقفين والمتنورين: إن الآداب هي خزانة العلوم والمعرفة. وهي تتوغل في أغوار النفس البشرية فترهف المشاعر... وتمنح الإنسان المزايا الإنسانية الحقيقية، وتسمو بثقافة المرء وعلمه.

الأدب... ماهيته وتقييمه

لم يلق الأدب الكردي اهتماماً كبيراً من الكتاب ولم تكتب عنه البحوث إلا نادراً جداً، ولم تنشر هذه البحوث والكتب إلا قليلاً بين حين وآخر. إلا أننا شاهدنا بعد أعوام ١٩٨٥م كتابة مئات البحوث المطوَّلة في الوطن وفي خارج الوطن عن الأدب بصورة عامة وعن الأدب الكردي بصورة خاصة ومكثفة على صفحات الجرائد والكتب والمجلات.

إن اللغة، والثقافة والآداب في قومية من القوميات أمارة كينونة تلك القومية وأسس وجودها ومقومات حياتها، ومتى فقدت القومية هذه الأسباب خسرت وجودها وضاعت ضياعاً أبدياً لا عودة منه، وتحللت وذابت وانصهرت في قوميات غريبة.ومما لا يختلف فيه اثنان أن الأدب الكردي المسموع (الشفهي) الذي يتناقله الرواة جيلاً بعد جيل ثرٌ وغني جداً، ولكنَّ الأدب المقروء ليس بتلك الغزارة إلا أنه في سبيله إلى التطور والارتقاء والثراء. وقصارى القول فإن الآداب هي التي تجعل الأمم تقف على أقدامها وتستمر في البقاء والرسوخ يؤدي الأدب بنوعيه الشفهي والمدوّن دوره في المجتمعات، فينقل إلينا أنباء أيام غبرت مشحونة بالأحداث التي مرت بهذه الأمة أو تلك. واللغة هي عماد الأدب ولا يجوز الفصل بينهما فلو افتقدنا اللغة لكان حرياً بنا أن نفقد الأدب ونحْرم من مباهجه .أمّا اللغة فلو أننا

أهملناها ولم نخضعها لتجاربنا ولم نشحنها بعواطفنا وأحلامنا وآمالنا وكل هواجسنا وسائر أحاسيسنا ومشاعرنا لكانت أشبه برموز وإيماءات وأصوات كائنات عجماء لا تعبّر إلا عن رغباتنا السفلى، وحاجاتنا الدنيا من طعام وشراب ونوازع حيوانية .أولئك الذين يصوغون الأدب بكلمات أنيقة خالية من عيوب النحو والصرف والقواعد اللغوية ويحبكون الأحداث بلغة شفافة وثرية في مفرداتها هم الذين يرسون مداميك أدب رفيع ويضيفون شيئاً جديداً إلى هذا الفن، ويجعلونه كائناً اكتنز دماً وشحماً ولحماً يضج بالحركة والحيوية. وهم بعد هذا وذاك علماء زمانهم وعارفو عهدهم. ليس الأدب خلواً من هدف يسعى إليه أو خالياً من غاية يُرجى بلوغها أو مجرداً من رسالة ينبغي لها الوصول إلى أناسيٍ هناك وهناك. فمن ذا الذي يستطيع أن يزعم أنّ ملحمة ‘‘مم و زين ’’الكردية الخالدة لم تكن لها رسالة وجب أداؤها في هذا النظم الأدبي الرائع .ولا تتجلى المهارة الأدبية إلا في العمل المتقن والأداء الجيد. ولما كان للأدب رسالته السامية وغايته الشريفة فقد كان الأدباء في طليعة الرعيل الأول في توجيه شعوبهم وأممهم نحو الحرية، وإنقاذهم من الرق والعبودية والخنوع وسائر صنوف الضيم والاضطهاد. وبطون الأسفار زاخرة بأنباء المتنورين والأدباء في كل شعوب المعمورة الذين ناضلوا وكافحوا في سبيل كرامة أوطانهم فأسروا، وسجنوا أو استشهدوا. وقضوا نحبهم وعذبوا لينال أقوامهم العزة والكرامة ويشمخوا بهاماتهم بين ملأ الأرض وشعوبها. وهم بعد ذلك ذخرٌ

للأجيال القادمة حين تصبح حياتهم مثلاً أعلى وقدوة حسنة لأولئك القادمين من المستقبل المجهول.

وأخطر ما في تقييم الأدب الطائفية والتشيّع والانقياد للأهواء الشخصية، لأن التشيّع جنس من أجناس مصطلح ‘‘العدمية’’ التي ترفض كل شيء قديم وتنكره جملة وتفصيلاً، وأصحاب هذه النظرية يحاولون زرعها في العقول زرعاً قسرياً وفرضها عنوة. وكأنهم لا يدركون أن إثبات الحقيقة لا يتأتى بالإنكار ولا يكون كشفها من طرف واحد، بل تظهر الحقيقة بالحوار الهادئ والمنطق السليم بين الأطراف المتنازعة.

و’’الجزمية’’ في الأدب عقبة وحجر عثرة يمنعانه من الحركة والارتقاء فليس في النظرية ‘‘الجزمية’’ شيء اسمه التجديد أو تغيير الذات، ولا يعبأ أصحابها بالتمحيص والتنقيب، ولن تجدهم يجشمون أنفسهم عناء البحث عن الحقائق الغائبة.

ومن أبرز النظريات الأدبية وأعلاها شأناً ‘‘الواقعية الحديثة’’ وهذه ‘‘الواقعية الحديثة’’ ليست جامدة وليست الطرف الوحيد في المسائل المتنازع عليها، ولا تُعابُ ولا تتهم بالمؤثرات السلبية، ولكنها إيجابية الفكر في التوجيه. و’’الواقعية الحديثة’’ تحاول جهدها الابتعاد عن ‘‘الغوغائية’’ وكل ضروب الفوضى..... وكما تحاول في الوقت نفسه إظهار كل الحسنات. وإبراز كل ما هو ممتع ورائع وأنيق وكل ما هو جميل، ووضع ذلك كله في المقدمة، فهي متفائلة دائماً، دائبة في خلق آمال جديدة. إنها ‘‘أي

الواقعية الحديثة'' في الأدب، تجعل المواقف والواقعات وكل مواضيعها تنساب في تدفق الحدث. وتجعلها رهناً به. لقد دوّنت أعمال أدبية على صفحات الأوراق في زمن غير هذا الزمن عن أشخاص ينتمون إلى تلك العهود مثل ''مم و زين'' و ''دون كيشوت'' و ''الحرب والسلم''. صحيح أنها كتبت في أيام غابرة وكانت صالحة لتلك الأيام ولكنها صالحة أيضاً لهذه الأيام، وستكون صالحة أيضاً للأيام المقبلة والمستقبل القادم وهكذا يكون الأدب الرفيع، وهكذا يكون الأدب الخالد. إن الأدب لهو الإشراق والسطوع في حياة المخلوقات الحية. والهيكل الأدبي يدخل في بنائه جميع ضروب الشعر وكل أجناس القصة والرواية وكافة ألوان الأسطورة والملاحم والسيرة الذاتية والبحوث في العقائد والديانات على تعدد اتجاهاتها ومذاهبها. وهذه الكتابات الفنية المتفرعة عن الأدب لها علاقات وثيقة تشد بعضها بالبعض الآخر تتخذ السرد القصصي والحكاية أُسّاً لبنيانها. وهكذا فإن الرواية والمسرحية والسيناريو والقصة بجميع أجناسها فنون أدبية سردية كلامية، وللشخصية والأبجدية أهمية كبرى في المجال الأدبي. ولا يخامرنا أي ريب في أن الشعر هو أقدم فروع الأدب لأنه أقرب إلى الفطرة، وأقرب إلى المشاعر الإنسانية والتعبير عن عواطف الإنسان الذي تهزه الألحان والأنغام المتوازنة التي تنساب بطريقة رتيبة ومنسقة على النقيض من النثر الذي يكون خاوياً من هذه الميزة ولا تخلو من الجمود والصنعة والتكلف. والشعر أكثر إثارة وتحريكاً من الأحاسيس

في جميع الحالات التي تغمر الشخص من فرح وترح وابتهاج وكآبة، وأمل وحبط أو تفاؤل وتشاؤم أو قنوط وطموح وشجن ومرح وسائر النوازع المختلفة. إن الشعر هو الكلمة التي تتحول الى أغنية، وهو الكلمة التي تلفظ وتقرأ بطريقة موسيقية .إنه باختصار أغنية وموسيقى يلتزم بشجون النفوس وخوالجها وهواجسها وتأثرها بما ترى وتسمع وتحس.

إننا مازلنا حديثي عهد بالرواية. فإنها لم تنشأ ولم يقم لها بنيان إلا قبل ثلاثة قرون خلت، وظلت تسير حبواً ولم تقف على قدميها إلا في فترة ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر لتزداد نمواً وتتجه صوب نضوجها واكتمالها. إن الرواية تشتغل العلاقات العامة أو الخاصة بين الأفراد وتعالج همومهم، وتهتم بشؤونهم العاطفية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ضمن فترة من الزمن وهي في سردها لا تختلف عن القصة سوى أنها تتحدث عن هذه الأمور وما يتفرع منها بكثير من التفصيل والأحداث وقد تنتقل من حدث الى آخر لتعود إليه فيما بعد.

وفي غمرة هذه الأحداث –في الرواية- نقرأ أشياء أخرى كالأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في رواية غرامية تتحدث عن عاشقين. والرواية في الفن الأدبي اكتشاف جديد أو إيجاد جديد أو عالم حديث في عوالم الأدب، والفن الروائي دائم التجدد في تقنية بنائه، ودائم الحداثة.

لكل من الرواية والقصة خصوصية أو ميزة لا ينبغي لكلتيهما الانفصال أو الانفكاك عن الأُخريين، وهذه الخصوصية أو هذه الميزة ليست سوى عنصر التشويق الذي يجذب إحساس القارئ ويجبره على القراءة ومتابعة الواقعات والأحداث حتى نهاية السطور التي كتبت بها القصة أو الرواية. ولولا هذه الميزة لكانت الرواية عملاً مملاً مثل الكتب العلمية التي تبعث على السأم والملالة، والتي يكره القارئ نفسه على مطالعتها رجاء اكتساب معرفة جديدة. فإذا خلت الرواية من هذه الميزة كان حرياً بها أن لا يلتفت إليها القراء. وعنصر التشويق هو الذي يطوّح بالقارئ الى متاهة الأسئلة. كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ وهو يتابع القراءة حتى ينتهي بقراءته الى خاتمة الرواية. فها هي قصص "ألف وليلة" كانت تتلى على الأسماع فيصُغى إليها بشوق ومزيد من الفضول والاهتمام، ولا يزال هذا دأبها حتى يومنا هذا تُتلى علينا فنصغي إليها بأذان مرهفة وعيونٍ محدقّة وأفئدة خافقة.

من البديهي أن يكون للنقد الأدبي شأن كبير، فهو الذي يبرز محاسنه "أي محاسن الأدب" ويُظهر عيوبه ويندد بها إن وُجدت، وهو في الحالتين محرّض ومرشد. يحث على الاستكثار من اقتراف الحسنات الأدبية وتدارك النواقص والعيوب كي لا تتكرر، وبذلك يسمو الأدب ويسعد الأديب. ومما يؤسف له أننا لا نجد بين النقاد الكُرد متخصصين أو ذوي خبرة في هذا الفن. وفي الوقت نفسه نجد بينهم مَنْ يخلط نقده بالغل والحسد والمقت والكراهية وينفث سمومه في وجه الأديب وأدبه. وأمثال هؤلاء لا

ينفعون الأدب في شيء، ولا يكون عملهم إلاّ تشويهاً لصورته، ومسخاً لوجوده، ونفياً لرونقه... ولا ننكر أن نقاداً آخرين عرفناهم بالصدق والنزاهة، لا يصدرون أحكاماً جائرة، أو يتكلمون جزافاً أو يتبعون الهوى. ولا يكون نقدهم إلا لغاية نبيلة هي الرقي بالأدب. وهؤلاء يكونون ذخراً للأدب وركناً راسخاً في صرحه، ونهجاً لغيرهم من النقاد الآخرين، للمساهمة في أثرائه وتطويره نحو الأفضل.

ويجب أن نعلم أن صاحب الكتابة الفنية واحد من البشر وهو إنسان، له نزعاته، وشخصيته، وسلوكه، وتميّزه، وطبيعته، لذلك ينبغي للنقد أن ينصب على أعماله وليس على شخصه، أي يجب الفصل بين الكاتب وبين ما يقدمه من الكتابة. دون أن نلتفت -عند التحليل- إلاّ إلى ما يكتبون. والنقاد مطالبون بالنزاهة وأن يكونوا أداة إصلاح وحسب.

منافع الأدب ومتعته

الوهم أو بالأحرى ما يسمونه "الخيال". ذو صلة بالثقافة. فالثقافة تبتكر الأشكال وتخلقها وتجعلها "خيالاً". والخيال هو نقيض الواقع وضده وقد يسعه أن يغدو حقيقة أحياناً، ولكنه في أكثر أطواره يمكث خيالاً كما هو لا يتعداه إلى غيره، وهناك أخيلة شتى- في الكتابات الأدبية- تتحول إلى تصور في ذهن المرء عند ممارسة الأدب.. ويجب أن لا يغيب عن البال أنّ بين الخيال والواقع صراعاً قائماً.

يتراءى لدونكيشوت أنه فارس- لا يخامره في ذلك أدنى شك- ويتوهم زعانف مراوح الطواحين المائية اعداءً وأضداداً. وفي الأسطورة القفقاسية نقرأ عن طائر وهمي يدعي "سيمرغ" الذي أنتجه الخيال ورسخ الوهم وجوده في الأدب. والأدب هو من صنع تطلع المجتمع والأفراد وآمالهم ورغباتهم التي توحي بها أخيلتهم. وهذه الأخيلة والتطورات تعد وتجهزّ بالأسلوب الجمالي. إنَّ كتبة الأدب- بفضل أساليبهم البيانية يقيّمون الطبيعة والإنسان والمجتمع وينقلون تلك المعارف إلى القراء.

يقول صاحب النظرية الاجتماعية الاشتراكية الانكليزي فريدريك انجلز عن الأديب "بلزاك": لقد كان ما تعلمت من "بلزاك" أعظم مما تعلمته من علماء التاريخ وفلاسفة الجمال وعلماء التاريخ وخبراء الاقتصاد. إن المعارف التي يقدمها الأديب للقراء سرعان ما ينتشر بين طبقات المجتمع وفئاته

وتترك في نفوسهم اكبر الأثر. ولا يخفى أن أساطير "هوميروس" ومسرحيات "شكسبير" و رباعيات "الخيّام" وروايات "تولستوي" و "دستويفسكو" وقصص "تشيخوف" القصيرة تغلغلت في المجتمعات الإنسانية مئات الأعوام بين كافة أمم الأرض وشعوبها وقرأها الناس وما زالت تقرأ حتى أيامنا وتترك آثارها الإيجابية. ومن هذه الأعمال الرائعة يتعلم المرء العلاقات الاجتماعية، والروابط الإنسانية وما يجري في الطبيعة من أمور ويعرف أشياء كثيرة عن الحياة الاشتراكية والحركات الاجتماعية والمنظمات السياسية وفيها يجد الصراع الداخلي بين أفراد المجتمع الواحد، وبين الشعوب، ويلمُّ بأحاسيسه، ويكتسب خبرة بأفكار الناس وتأملاتهم، وأحلامهم، وأخيلتهم وأوهامهم، وحنينهم وأشواقهم وما يحملون بين جوانحهم من مشاعر الحسد والبغضاء وخوالج الخوف والألم والبهجة والحبور وما الى ذلك من عواطف لا تعد ولا تحصى. ومنها يتعلم المرء كيف يستطيع معرفة نفسه.

والأدب يمنح الإنسان إحساسا بالجمال، وهذا الإحساس ضروري دائماً للإنسان من أجل سعادته. إن حب الحياة، وأمنيات المستقبل، وكل انجاز مبارك وميمون، والشؤون العقائدية، والتحدي، ومقاومة السيئات وارتكاب أعمال الخير أمور يسهب الأدب في تفسيرها وجلائها بأريحية وشفافية. وطريقة جذابة سلسة. وبالأدب أيضاً تتسع آفاق أخيلة الناس ومداركهم، ويغزر ينبوع لغتهم.. وتستقيم كلماتهم وأحاديثهم

ويصح نطقهم... وتتفتح أذهانهم. والأدب يخلّص المرء من ضيق تفكيره، وشحّ أفكاره.. والجزمية "الالتزامية" ومن المآزق والمزالق والطرق الوعرة، ويجعله شخصاً ذا موهبة، رحيب الصدر، حليماً متأنياً يحافظ على حرية الفكر.

عندما يقرأ أحدهم نصاً أدبياً في قصة من القصص، يرى نفسه في شخص بطل القصة أو في إحدى شخصياتها.. أو يقارن نفسه بهذا البطل أو تلك الشخصية ويتمثلها فيتألم بألمها ويضحك حين تضحك، ويحنق حين تحنق أو تسخط، أو يشعر بالارتياح أي أنه يغدو شريكاً لها في كل أحوالها.

العامل أو المحرض السياسي في الأدب

"الأدب أداة لنصرة التحرر الوطني"

"ك.بليخانوف"

يجب أن تتوافر في الأدب العوامل السياسية التحريضية، وأن يقوي وعي أدب التحرير الوطني، ففي كثير من بلاد العالم التي ترزح تحت نير الاحتلال أو المرتبطة بالدول الاستعمارية تتأسَّس جبهات للنضال القومي. وإلى جانب هذه الجبهات السياسية تبنى جبهات أخرى للثقافة والآداب والفنون لمؤازرة الحركات النضالية القومية وحث الخطوات نحو التحرر القومي والوطني. منذ عهد غير بعيد قامت ثورات تحررية في بلاد من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، ساهمت في تقدم الأدب الثوري التحريري. أيَّ أن براعم ثورة أدبية تفتحت على صعيد الحركات الكفاحية الثورية التحريرية. وفي كردستان أيضا قامت ثورات وحركات للتحرر وما زالت قائمة أو تقوم بين حين وآخر.. وهذه الثورات أتاحت مواضيع كثيرة جداً وفتحت الأبواب أمام الأدباء لخوض هذه المواضيع الكثيرة واختيار ما يرغبون في كتابته وإغناء الأدب الكردي وإثرائه وترقيته. ولكن الأدباء الأكراد- وهذا ما يحز في النفس- لا يستطيعون فعل ذلك بينما نرى كتاباً لا ينتمون إلى كردستان يختارون أحداثاً جذابة وملفتة للأنظار

في كردستان ويضمنونها كتاباتهم الأدبية الشيقة، ويخرجون بها على القراء.

مرت عدة عقود من الزمن والمعارك قائمة على قدم وساق بين الخير والشر الازلي، وحرب عصابات... وثورات متعددة الأسماء، ولكن ما من أحد كتب عن هذه الحركات والحروب الحامية الوطيس ما يفي بالمرام أو يشفي غليلاً فلعل القوس لم تعطَ لباريها. والأدباء الكُرد في غفلة عن هذه الأحداث السياسية، بل هم صم بكم عِمْيٌ عن ثورات الشعب الكردي المسلحة، في الوقت الذي هم ملزمون بدافع وطني وقومي أن يكتبوا عنها الروايات والقصص وأن ينظم الشعراء القصائد في ذكراها وتمجيد بطولات المناضلين والمنافحين عن قضايا قومهم ووطنهم.

الروايات التاريخية

في عصرنا هذا تصدر في شتى أنحاء العالم روايات تاريخية تُعنى بالشخصيات التاريخية وبالأحداث التاريخية التي جرت في غابر الأيام، وهذه الروايات من أكثر الكتب التي يُقبل على شرائها واقتنائها القراء ويكثرون من قراءتها. ونضرب مثلاً على ذلك: الروايات التي تكتب عن ملوك مصر "الفراعنة" وعن "كليوباترا" ورواية "اسكندر الكبير" و "هانيبال" والروايات التي كتبت عن "عمر الخيام" و "حسن صباح".. إنها روايات تجذب إليها أنظار القراء وسوقها رائجة. كثيرون هم أولئك الكتاب –سواء من الأجانب والأتراك- الذين أصدروا روايات عن السلاطين العثمانيين ونسائهم فقرأها الناس بفهم واقبلوا على اقتنائها وكانت هذه الروايات في مقدمة لوائح الكتب الأكثر بيعاً في العالم.

تمِتُّ الرواية إلى التاريخ بصلة وتربطهما الوشائج. فإذا صدرت رواية، سواء، كانت الرواية عن أحداث يومية أو عن فترة تاريخية. أصبحت الرواية بعد حقبة من الزمن كتاباً تاريخياً عن العهد الذي كتبت فيه. ولقد كان أول ظهور للرواية التاريخية على يد "و. ولترسُكوت" الروائي المعروف. والأعمال التي دونها "و.سكوت" و"بلزاك" و"تولستوي" و "بوشكين" و "دوستويفسكي" كتابات تقليدية "كلاسيكية" عن التاريخ، ففي هذه الأعمال الروائية تظهر شخصيات الروايات وأحداثها على

حقيقتها دون التصرف في سلوك الأشخاص أو ماهية الأحداث. إلا أنَّ صوراً كثيرة من الأخيلة أضيفت إليها. أما "الكسندر دوماس" فإنه يؤسس كتاباته على أركان الأحداث التاريخية وكأنها قصص وطرائف شخصية إلا أنها مبنية في قالب الرواية وشكلها. ومن المعروف –لدى الكثيرين- أنَّ روايات كثيرة كُتبتْ عن الأعمال التي قام بها رجال من التاريخ وما اكتنفت حياتهم من شؤون. كالروايات التي ألِّفت عن سيرة الإمام عليّ وتيمورلنك وراسبوتين وكليوباترا والاسكندر الكبير وهاينبال ورمسيس والنبي موسى وغيرهم. والجدير بالقول ونحن بصدد هذا البحث إن الحضارة المصرية القديمة تركت آثاراً بالغة في عقول كتاب الرواية. إن البعض يطلقون اسم الرواية التاريخية الخيالية "الفانتازية" على هذا الجنس من الروايات أو اسم: "الرواية للفانتازيا التاريخية.

إن رواية كاترين هرماني "وزير الليل" ورواية ميكا وولتاري "عشاق" ورواية امبرتو إكو "اسم الوردة" وبعض روايات نجيب محفوظ، وأمين معلوف داخلة في هذه الفئة من الروايات. وفي هذه الروايات تختلط "الفانتازية" بالتاريخ، والأحداث فيها أحداث تاريخية ولكنها مرصّعة بالفانتازيا والرواية في الأصل هي عرض وبيان للحركات التاريخية، ولكن بطريقة منفصلة أي أنها تروي حدثاً هنا وحدثاً هناك دون التقيد بالسرد الرتيب أو التسلسل الزمني. وفي بعض الروايات تسرد الأحداث كما جرت في الواقع –دون التلاعب بها- في الزمن الذي وقعت فيه. وفي

روايات أخرى تورد فيها الواقعات بأسلوب ضبابي مبهم ونمط "ميتافيزيقي" تاريخي. ولا شك أن هدف كتاب الرواية ليس تبيان الأحداث التاريخية، ولكنهم يجدلونها بقدر ما تحتاج إليه الجمالية. إن الإطار العام الزخرفي للرواية واسع ورصين ينضوي تحته الموت والحياة، والوحدة والعشق.. أحاسيس الاشتهاء.. الضمير.. الصدق والأمانة. الكذب والنفاق والمداهنة وأمور أخرى لها علاقة بالإنسان.

والرواية التاريخية تتبنى في كتابتها الأسلوب الأدبي في نقل الأحداث والتجارب السابقة لتكون للقارئ درساً وعظةً. وأصحاب الروايات يأتون إلينا بالأحداث ويقيمونها حسب الزمن الذي يعيشون فيه، ولكنهم يصوغونها حسب الظروف والأزمنة التاريخية.

مما لا ريب فيه أن الكاتب "وولترسكوت" هو أول من ابتكر فن الرواية، ثم جاء من بعده كتاب آخرون اهتدوا به وحذوا حذوه، كتاب من شتى أصقاع الأرض وألفوا مئات الروايات. وقد نبغ كتّاب في هذا الفن وأبدعوا فيه وكتبوا روايات قيّمة ورائعة. يقول "جورج لوكاكس": "يكمن انتصار الرواية في بلوغها مستوى الملاحم".

الرواية والتاريخ

هناك الكثير من الروايات التاريخية مثلاً: رواية "راسبوتين"، تتناول قضايا ملوك الروس "القياصرة" وخفايا قصورهم وما يجري فيها من أحداث. أمّا رواية "كليوباترا" الملكة المصرية المنحدرة من أصلاب الفراعنة. وفي الحروب التي نشبت بين المصريين والرومانيين ودحرت فيها القوات المصرية وكانت الغلبة للروم... ثم مرت الأيام واختلطت الأمور، فنشأت بين القيصر الرومي وكليوباترا المصرية علاقات غرامية تكللت فيما بعد بزواجهما الذي أثمر عن مولد طفل. وبعد أن قتل القيصر في إحدى المعارك، بدأت قصة عشق بين كليوباترا و "ماركوس" القائد العام للجيوش الرومانية، وكان "أوستافيوس" تسلم مقاليد الحكم في الإمبراطورية الرومانية خلفاً عن الإمبراطور الراحل. بيد أن كليوباترا و "ماركوس" القائد العام أنكرا ورفضا أن يكون "اوستافيوس" إمبراطورا جديداً للبلاد وحارباه ونازعاه الحكم لكنهما هُزما هزيمة منكرة وتمكن الإمبراطور الجديد "اوستافيوس" من احتلال البلاد المصرية والتسلط على رقاب العباد، ثم سعى حثيثاً إلى أسر الملكة "كليوباترا" ولما أدركت كليوباترا أنها على قاب قوسين من الأسر سلطت على جسدها أفعى سامة وانتحرت. وهناك رواية عن "عمر الخيام" و رواية أخرى عن نضال وسيرة الرجل المتصوف المؤمن "منصور الحلاج".

اذا كما قلنا للرواية فئتان.. الفئة الأولى هي الرواية التي تكتب عن الواقعات التاريخية وسيرة أشخاص لهم أهمية تاريخية، والرواية الأخرى هي التي تتناول في موضوعها الأسطورة "الميثولوجيا" وشخصياتها الأسطورية. مثل روايَتيْ "أنكيدو و كلكامش"، وأبطال هذه الرواية ربما كان لهم وجود على صعيد الحقيقة وربما لم يكن لهم وجود أصلاً.

والأحداث التي تتحدث عنها الرواية ربما كانت حقيقية وقد جَرَت فعلاً وربما كانت من نسج الوهم والخيال.. وهكذا نجد أنفسنا متأرجحين بين الأخذ باليقين والأخذ بالنفي ويظل الشك يلاحقنا، لأن الرواية في مثل هذه الحالات يكثر فيها عنصر التشويق والتهويل والمبالغة.

إنَّ الروايات والحكايات والقصص التي تتحدث عن الصناديد والأبطال اليونانيين مثل "هرقل" وأبطال وصناديد كُرد مثل: "ميرزا محمد " خيالية، غارقة في الخيال نظراً للمبالغة المفرطة في وصف هؤلاء الأشخاص، وربما كان هؤلاء الأبطال موجودين في يوم من الأيام ولكن ليس بالصورة التي تنقلها الروايات. فتمتزج الحقيقة بالأسطورة. والقصص والحكايات الشعبية التي تصف ميرزا محمد البطل الكردي الأسطوري تماثل قصص "ألف ليلة وليلة" وهي جميعها من صنع الخيال.

في أعقاب السنوات الماضية بدأ كتُّاب الرواية الأوربيون يسلكون منهجاً جديداً في الأسلوب الروائي. فقد بدأوا يكتبون أو

يعيدون كتابة الأساطير القديمة في هيكل جديد وصياغة روائية. ومثل ذلك أن الشاعر الروائي القديم "هوميروس" كتب ملحمة "الإلياذة" الأسطورية. ثم جاء كاتب روائي فصاغها من جديد وألبسها حلة قشيبة.

أحداث جمة ترد في الأساطير القديمة بطريقة روائية كأسطورة "كلكامش" و "أنكيدو" و "حرب طروادة". وعلى غرار هذا الأسلوب الجديد خرجت من المطابع ملاحم عن ملوك مصر "الفراعنة" و "النبي موسى" و "المسيح" و "النبي محمد" و "الإمام علي" و "النبي سليمان" والقائد الكردي، السلطان العادل: صلاح الدين الأيوبي، ومؤسس القوات الفدائية: حسن صباح، والسلاطين العثمانيين وقياصرة روسيا الأربعة، وعن الأبطال التاريخيين المشهورين مثل: "روبن هود" و "وليم تل" و "رستم زال".

في الحقيقة ليست الروايات التاريخية هي التاريخ نفسه، ولكنها قد تكون جسراً أو صلة وصل بين التاريخ والقراء. والتاريخ أو بالأحرى الكتب التاريخية المعرفية العلمية تقيّم تطور المجتمعات في الاقتصاد والسياسة والسلوك البشري والثقافة، وتحلل كل ما يقع تحت البصر.

والروايات نصوص أدبية، فبعض هذه النصوص تختار موضوعها من صميم المجتمع في الماضي وتعرضه للمشاهدة وتخاطب أحاسيس الناس بأسلوب وطرق فنية. ولا غرو أن تكون

الروايات التاريخية بعيدة عن العلوم العملية، تكثر فيها الأخطاء والهفوات والنواقص ولكنها لا تخلو من الأداء الرائع الذي يجذب القاري ويهيمن على مشاعره.

يقول "نورتروب فراي": "إن أعمالاً أدبية كثيرة مشحونة بعبارات هزلية وبالمعاني العاطفية وحب الطبيعة" وبالتهكم والسخرية والمآسي. وفي الروايات كثيراً ما نقرأ صراعاً بين الخير والشر. والسخرية في رواية من الروايات من أقوى الأسباب والذرائع التي تجعل القارئ يقبل عليها بحماس وينكب على قراءتها بشغف واهتمام. والسخرية موجودة في رواية "دونكيشوت". ورواية بوشكين "قصة بيفغينا أو نغين" مؤسسة على دعائم التهكم والاستهزاء. والشخصيات والأفراد الذين تتحدث عنهم الروايات التقليدية: "الكلاسيكية" وهم الذين تخلقهم قرائح الكتاب- نماذج جذابة وصور لناس يعيشون في مجتمع واقعي. بعض أبطال الروايات يكونون لطفاء عاطفيين ذوي مشاعر مرهفة.. وبين هؤلاء الأبطال يوجد مهوسون ومجانين وعقلاء وحكماء.. وكذلك متزمتون وواقعيون وعدميون، ومتخلفون ورجعيون.. وفي الروايات شخصيات وطنية مثل "هاملت" و "دونكيشوت". إن "هاملت" يفكر بهدوء ولا يضطرب ولكن "دونكيشوت" لا يفكر قط.. ويضطرب دائماً.. أي أننا نجد في الروايتين شخصيتين متناقضتين أشد التناقض.

قلنا إن رواية "دونكيشوت" تزخر بالسخرية، ولكن لهذه السخرية سخرية بسيطة أو سهلة. ولكن الإعلان عن هذه السخرية بهذه التقنية الفنية العالية حافظ على مكانتها السامية وصانها من الإهمال وجعل لها أهمية كبرى حتى في أيامنا هذه، وهذه التقنية جعلت رواية دونكيشوت دائمة التجدد.

وفي روايات كثيرة من الروايات التاريخية مواضيع تتسم بالسخرية والتهكم. ولكن ما هو التهكم أو ما هي السخرية؟.

إن السخرية أيضاً أسلوب من أساليب الأدب. إن السخرية أو الطرفة الساخرة الشعبية التي يتناقلها الناس شفاهاً موجودة كما توجد الطرفة الساخرة في بطون الأسفار.. والنكتة الساخرة أو الطرفة الهزلية قديمة جداً يعود تاريخها إلى عهود الإمبراطورية الرومانية الأولى، ودوّنت أول مرة في القسطنطينية في زمن الدولة البيزنطية. وقد دوّنها كُتّاب الأدب البيزنطي: هوراتيوس، وبيرسيوس، وجوفنال، وكأنها جنس من أجناس الأدب وفروعه. وأعظم كُتاب هذا الفن الهزلي أو الساخر وأكثرهم نبوغاً، وأوسعهم شهرة وذيوع حيث هم: أرسطو فانس، و دانتي، وسرفانتس. ومن نوابغ كتاب الهزل بل من أكثرهم نبوغاً وشهرة الكاتبان الروسيان: "بوشكين" و "كانتمير". وفي فرنسا نهض كتاب "السخرية" بإنجاز أعمال أدبية في هذا الفن وأحيائه وكتاباتهم في ذلك كثيرة. ورائد هذا الفن في فرنسا هو: بواليو Boileau. والسخرية تستمد عناصر بنائها من نقد الأشياء

وتقييمها. وكتاب هذا الفن يعبِّرون عن رفضهم وسخطهم باللجوء إلى السخرية وبها يفشون غليلهم وينفسون عن لواعج صدورهم المكبوتة. ومنها يتعلم الناس ويأخذون منها العظة والعبرة ودروساً في الحكمة. وكان هؤلاء الكتاب الساخرون الصوت الذي يعبر عن هموم المجتمع وقضايا الشعب في أزمنة وعهود كثيرة، وكانوا يقفون في وجه البغي والطغيان. والأدب الساخر يتناول الأشخاص والأفراد وأنظمة الحكم.

أسلوب السخرية يشبهُ الملهاة والتمثيلية الهزلية الساخرة في خطابها المباشر للناس. وهو "أي هذا الأسلوب" أكثر الأساليب ديمقراطية وأكثرها شعبية وذيوعاً وتأثيراً.

يقول "اومبرتو إكو" في روايته "اسم الوردة" وهي رواية تاريخية متحدثاً عن الأدب الساخر: "إن جميع أنواع الأعمال الأدبية الساخرة في كل الظروف النضالية كانت مصدر رُعْبٍ لجميع الرجعيين المتسلطين على رقاب الشعب".

ولقد حافظ الكاتب الروسي الساخر:"كانتمير" على إصلاح المجتمع وإعادة تشكيله في كتاباته. إنه يقيّم وينتقد أولئك الأشخاص الذين يستهزئون من المعرفة. وينتقد المتزمتين الجامدين الذين يتشبثون بالأنظمة الرجعية القديمة. والأدب الساخر ذو علاقة واتصال بالحياة والناس.

للكاتب الروسي الشهير بوشكين كتاب في الرواية الساخرة، على جانب كبير من الأهمية والجاذبية موسوم بعنوان "رسالة مفتوحة إلى سانسرفانك" حيث يتصدى للكبت وتقييد الحريات.

يتحدث "دافيد بركينز" عن أدب السخرية قائلاً: " إن هذا اللون من القصص هو أكثرها إيلاماً لأنه يستطيع إضحاكنا. وأدب السخرية يستطع الكاتب أداءه – إذا شاء- بطرق مختلفة. يستطيع ان يفعل ذلك في تمثيلية أو قصة أو رواية ويمكن تسخير الشعر لأداء هذه الوظيفة وهذا كله يعود إلى إرادة الكاتب.

ينظر الأديب في العمل الأدبي إلى الصراع بين البشر بعين التهكم والاستهزاء- لأن الأديب يعتقد أن النقد الساخر أنجع وأنجح. وما دام الشيء بالشيء يذكر نتساءل هل في الأدب الكردي شيء من هذا القبيل؟ إن الأدب الكردي قليلاً ما سيحفل بهذا الجانب الأدبي ولم يدوّن منه إلا النزر اليسير ولكن الأدب الشعبي مليء به وكم نتمنى أن يلتفت أدباؤنا إلى هذا الكنز ويقيدوه في أعمالهم الأدبية وأسفارهم..

إن الطرفة الساخرة مؤسسة على الهجوم وهي سلاح ينفع استخدامه في تقويم اعوجاج المجتمعات ورد الطغاة والغاشمين عن مظالمهم وإعادتهم إلى سواء السبيل والتمسك بالإنصاف والعدل.

الرواية والحياة

الرواية والحياة كلمتان فيهما معاني العذوبة والطلاوة. وتتأتى عذوبة الرواية من أنها أو بالأحرى قراءتها جزء من حياة الإنسان. أو أنها تمنح الحياة النكهة والطعم والرفاهية والحبور فتجعلها أكثر رونقاً ولذةً. ولكل رواية عالم خاص وما مفتاح دخولها إلا القراءة، فإذا قرأها القارئون ولجوا عالمها فشاهدوا ما في أرجاء هذا العالم من عجائب وغرائب، ورأوا ما لم يروا وسمعوا ما لم تسمع به آذانهم من ذي قبل. والروايات إنما تكون أنماطاً وأصنافاً.. كالرواية التاريخية، أو الخيالية.. والرواية الغرامية أو كالرواية التي تعالج أمور الجاسوسية أو أحداثا شخصية. وكثيراً ما نقرأ روايات مدهشة. تشدنا إليها وتجبرنا على متابعة القراءة حتى الخاتمة، أو نقرأ روايات اجتماعية تضعنا أمام فيض من الأسئلة والاستفسارات وترغمنا على التفكير، أو روايات في الفلسفة تشحذ الأذهان، وروايات عن العالم وأحواله وأحلامه وتمنيات الناس ورغائبهم.

وللرواية لغتها الخاصة.. اللغة الأدبية.. إنها تحرك في أحاسيسنا وتوزع في مهجنا النشوة والمسرة.. حيث تكون هذه اللغة جسداً وروحاً ولا نشك أن لغة الرواية هي التي تجلب للغة ثراءها وبلاغتها، ونعني بها اللغة الأدبية.

وقراءة الرواية سبيل طويل ورحلة بعيدة، أي أن المرء يسافر في الرواية عند قراءتها في عالم جديد حيث يرى ويجد أشياء لا تعد ولا تحصى يتعلم منها. وقد نطالع صفحات رواية خيالية فنثمل بها وتنتشي أرواحنا الظامئة وترتوي. لنفترض أو نقل جدلاً: إن حدثاً شديد الغرابة جرى في رقعة من الأرض وإن كاتباً من كتاب الرواية يرغب في التحدث عن ذلك الحدث الغريب وسوف يكون حديثه شائقاً وممتعاً لأن الحدث في ذاته ممتع وشائق ولكن هذا الروائي يستطيع أن يؤدي هذه الوظيفة بأسلوبه الخاص وطريقته التي تعتمد على التخيل وعندئذ ستكون الرواية أكثر إمتاعاً وتشويقاً وجاذبية.

وعلى صعيد الرواية توجد رواياتٌ محكمة السبك متينة البناء عن ثورة من الثورات اذا استرسلت في قراءتها حسبت نفسك أحد رجالها وأن الثوار هم رفاقك في حركاتهم وسكناتهم، تتألم لألمهم وترتاح لفرحهم.

الرواية والمأساة- (التراجيديا)

في كل رواية لون من ألوان المآسي. لأن المأساة هي قدر الرواية وجوهرها. وكان أول ظهور الرواية في القرن الثامن عشر أي في عصر النور. ويدخل في بناء الرواية أخلاط من الأشخاص والأهداف وأسباب النجاح والفوز والنضوج. وعند تتابع الأحداث ينتقل المرء من حيزّ الخيال إلى حيز الحقيقة. أي أنه يمر بالتجربة التعليمية في واقع الحياة ضمن الرواية التي لا يخلو جانب من جوانبها من حدث "تراجيدي" والمأساة الكبرى تحبذ الفلسفة الأفلاطونية، وفي هذه المأساة نجد أبطالاً على غاية كبيرة من الشجاعة والبأس. أبطالاً من عظماء الأبطال.. وفي جميع الروايات تكمن المواضيع الإنسانية. وفي كثير من الروايات يعمد كتابها إلى أسلوب الموعظة والإرشاد والتحريض على التشبث بالأخلاق الفاضلة واتخاذها منهجاً وسبيلاً في مسيرة الحياة. وهؤلاء الكتاب من أمثال "دوستويفسكي" و "كازانوفا" و "فرويز" يقدمون إلينا في رواياتهم قناعاتهم الخاصة والأخلاق الحسنة حسب فهمهم لهذه الأخلاق. ولا شك أننا نقرأ في كل رواية تفسيراً جديداً لمعنى الحياة، ونستدل على المظاهر المتناقضة في خبايا نفوسنا من خلال شخصيات الرواية وأبطالها. وبسبب هذا التوجه الروائي يقال أن روايات "دوستويفسكي" هي أكثر الروايات شهرة.

يقول الكاتب الأمريكي اللاتيني "أوستافيو باز":

-إن كاتب الرواية يصنع العالم من جديد. إنه يعتمد على الخيال.. وكلما تقدم الخيال تقدمت التقنية في الرواية.. وظهرت تقنيات جديدة، ومن المعروف أن الرواية ثمرة جهود شخصية يصفها الروائي كما يشاء ويريد. ولكنها كأيٍّ فرع من فروع الفن تتدخل في تكوين المجتمع.

إنها تدفع بالمأساة الشخصية إلى السطح ثم يشرع في تضخيمها لتكون أكثر وضوحاً وجلاءً أمام الأبصار. والمأساة الشخصية أشبه بمنارة أو مرآة لإرشاد المجتمع وتوجيهه. وروايات "كافكا" في هذا الموضوع تتمتع بدرجة رفيعة من الأداء الفني في الرواية تستحق الإعجاب والفخار بها. وكثير من الروائيين يتناولون بالنقد والتحليل المجتمع والطبيعة والحياة.

في الرواية تتوضح طهارة المأساة ونقاؤها وحقيقتها أو بالأحرى حالتها. بكل تفاصيلها ودقائقها،

كلما استمرت الرواية في سرد المأساة حازت ملامح جديدة من الاستقلالية والحرية. إن الرواية كما يعتقد الذين لهم خبرة ودراية بالفن. هي ذات ضروب وأصناف ولها اتجاهات مختلفة، وكما كانت الرواية فرعاً مركباً من فروع الأدب لم يتيسر إيضاحه والإلمام بمراميهِ دفعةً واحدة.

لقد سبق لنا القول آنفاً: إن الرواية ذات شؤون واتجاهات كثيرة. من أحد ألوان الروايات الرواية التاريخية ولكنها ليست بكثرة الروايات الأخرى بل قليلة جداً. وليس ببعيد أن تنقل إلينا الرواية التاريخية معلومات تعجز عن نقلها إلينا كتب التاريخ نفسها وإخبارنا بها. لأن الرواية تصور لنا أحوال المجتمعات في الزمن الذي كتبت فيه.. تتحدث عن السياسة والاقتصاد فتتفتح أذهان القراء على أمور كثيرة وتتسع معلوماته عن تلك الفترة التاريخية.

الرواية روايتان: الرواية الجمالية ذات البرج العاجي والرواية الشعبية، وما من شك في أنّ رواياتٍ أخرى تتفرع عن هذين اللونين من فنون الرواية. ففي الرواية الجمالية تتجلى شخصية أبطالها وواقعاتهم. وأهم ما في هذه الرواية أننا ننتهي من قراءتها والحدث ما زال جارياً أي أن الأحداث تظل جارية والمأساة لا تنتهي وكلما امتد زمن الحدث تعاظمت أهمية الرواية، وهذا ما يرسخ صفة الجمالية في الرواية أي أن تطاول الزمن يزيد من قيمة الرواية الجمالية. إنّ القارئ قد يفرغ من قراءة الرواية، ولكن ذهنه وفكره لا ينتهيان أو يفرغان من أفعال شخصيات الرواية وأعمالهم.

فلتكتبْ الرواية في أي مكان شئتم وفي أيِّ زمان شئتم فإن حديثها لا يتجاوز الإنسان وما يتعلق بالإنسان... إنها محوّطة بالناس أينما كانت وأينما وجدت.

والرواية فنٌ اجتماعي يجعل حياة المجتمع زاهية ورخية، وهي في كل الأحوال غصن من أغصان شجرة الفنون.

والروايات الكردية لا تخلو من "التراجيديا" فهي موجودة في روايات "عرب شمو" وموجودة أيضاً في روايات "محمد أوزون".. وفي رواية "محمد أوزون" الأخيرة بعنوان "حالك كالموت.. مشرق كالعشق" عن مأساة: "الصقر واليمامة". وفي روايته الأخرى بعنوان : يوم من أيام عبدال زينكي"[1] نقرأ مأساة كتبها الروائي محمد اوزون بنمط فذ وأسلوب جديد. وفي رواية "سليمان دمير" نقرأ عن مأساة عاشقين تحت عنوان:" الرصاصة الحمراء". وفي رواية:"مصطفى آيدوغان" بعنوان: "أوراق الحنين" نقرأ سطوراً عن مأساة "للحنين أشبه بالمأساة الحديثة في عصرنا هذا.

انّ الرواية ماضية في سبيلها إلى التطور والتجديد، والدنيا تتطور وتتجدد والرواية تتبع الحياة في نهجها المتغير على الدوام. وتقنيات الرواية وأساليبها تتغير وتتجدد.

إن الروايات التي كتبتها أقلام "دوستويفسكي" و "فيكتور هوغو" و "بلزاك" لا تشبه ما حبّرته أقلام: "سوزان تامارو" و "بولو كولهو" و"الكسندر باريكو".

[1] - ترجمها إلى العربية محمد نور الحسيني.

كانت الرواية القديمة تكتب في أجزاء تبلغ صفحات كل جزء (٣٠٠-٤٠٠) ثلاثمائة أو أربعمائة صفحة، أما الرواية العصرية "الحديثة" فلا تخرج في أجزاء ولا يتجاوز عدد صفحاتها (١٥٠) مائة وخمسين صفحة. وبعض الروائيين في إيطاليا لا يصدرون رواياتهم في أكثر من (١٠٠) مائة صفحة. وما دامت الحياة دائمة الحركة دائبة على الترقي والازدهار فإن الرواية تظل رديفاً لها في أحوالها كلها. أي أن كل تقدم في علوم الفلك أو الفيزياء وسائر العلوم الأخرى يترك أبلغ الأثر في الآراء والنظريات الأدبية والفلسفية. وهذا لا يعني أن الرواية- في هذه الأيام- تبتعد دائماً عن الإطالة أو أنها تؤثر جانب الإيجاز والاختصار. بل نرى أن روايات مطولة تكتب في أيامنا مثل "كنوز آكيم بولدو" للروائي: "هانجو لاهمان"، وهي رواية تقع في (٦٩٠) تسعين وستمائة صفحة. ورواية "Medicus-noahgorden" التي تقع في (٦٣٩) تسع وثلاثين وستمائة صفحة ورواية "التجلي الأسود" أو "القائمة السوداء" للروائي "فريدريك فورسيث" التي تبلغ صفحاتها (٥٧٣) ثلاثاً وسبعين وخمسمائة صفحة. وهذه الروايات الثلاث روايات حديثة.

ولئن سألنا سائل: كيف تكون لغة الرواية أو كيف يجب أن تكون؟ قلنا:

يجب أن تكون لغتها سهلة، واضحة المعاني، لا تعقيد فيها، وأن تكون في الوقت نفسه لغة أدبية لا ركاكة فيها أو التواء،

يفهمها جماهير القراء وعامة الشعب لأنها تكتب لهم ليفهموها ويدركوا مقاصدها ومراميها. وعندما يلتفت المرء إلى عهود القرن التاسع عشر وينظر إلى شعوب أوروبا الغربية يدرك أن تلك الحقبة كانت زمن تقدم الرواية وسعيها إلى الكمال. بَيْد أن الرواية ما زالت سائرة بخطوات حثيثة إلى مزيد من التطور والرقي. وسوف يعلم أن الرواية كتبت آنذاك بلغة الشعب باللغة التي يفهمها الغالبية العظمى من الشعب إن لم نقل جميع أفراد الشعب، وتركت في نفوس الناس أعمق الأثر. وفي عهد النهضة أو عصر التجديد والإصلاح وإعادة البناء وصياغة هيكل جديد للأشياء اتخذت الثقافة الأوربية الغربية ملامح جديدة تحت تأثير الرواية الحديثة. وبهذه الصياغة الجديدة أضْحَت الرواية أداة فعّالة في تغيير بنية المجتمع. وصارت صاحبة أهم وظيفة ما زالت ذات تأثير كبير.

وباختصار نقول: إن الرواية ما زالت حديثة الولادة، لم يُشرع في بنائها إلا قبل قرنين من الزمن، ولم تنضج ثمارها إلا في الفترة التي تقع في ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وهي ذات مذاهب واتجاهات إزاء المجتمعات وتطلعاتها، وهي البوابة الواسعة التي تُطل على جميع الآفاق الإنسانية وتخالط أفكارهم وأحاسيسهم في خضم الحياة المتغيرة والرواية أيضاً لا تكف عن الحركة والدوران والتغير. إن الرواية بدعة جديدة ووجود جديد.

المأساوية في الأدب الكردي ميزة....أم مأخذ؟

لا شك أن المعايش للأدب الكردي يلمس فيه كثيراً من مشاعر الشكوى والتبرم والسوداوية، ولكنه سرعان ما يكتشف أن ذلك كله يرجع سبباً إلى ما عاناه وقاساه الشعب الكردي من أحوال مأساوية غاية في الشدة والعنف، ولعل ذلك ليس من قبل الناحية المعيشية بالدرجة الأولى؛ وإنما من جهة الحالة الاجتماعية التي عاش ظروفها الأكراد، وهم قوم تسمهم البداوة بسمتها الجافة، وذلك يعود في النهاية إلى قساوة الأحوال الاقتصادية التي تبعدهم عن الحضارة ورقتها وحنانها أقصى بعد.

ولذلك كله آلت أمورهم إلى التشرذم والتنازع والتعادي ومن ثم إلى الانكسار والبؤس، وكان لا بد أن ينعكس ذلك على أدبهم وكتاباتهم التي تعتبر مرآة الحياة بكل مظاهرها ومضامينها. من أجل ذلك يجب أن يقرأ دارس الأدب الكردي سطوراً تمتلئ بالتحسر والتفجع في قصائد الشاعر والمفكر "أحمد الخاني" (1651-1706)م التي تدوّي صراخاً وعويلاً يبعثهما إشفاقه الكبير وألمه العميق لتنازع الكُرد وتفرق كلمتهم وتفشي العداوات بين جماعاتهم وأفرادهم متناسين صلات الرحم وقرابة الدم ووحدة الأرض واللغة، فضلاً عن وشائج الإنسانية التي من المفترض أن يشعر بها الإنسان حيال أخيه الإنسان، لاسيما أن عوامل الخلاف والشقاق اللذين تفشيا بينهم كانت واهية وتافهة من صنع السعاية والنميمة التي أوجدها واختلقها الوشاة والحاسدون ذوو

النفوس الدنيئة كما في رواية (مم وزين)، وذلك أيضاً ما يمكننا أن نتلمسه في أبيات مبثوثة من الشعر الذي نظمه "الخاني" منذ قرابة أربعة قرون متحدثاً عن الشقاق الذي لا ينتهي والخلاف الذي لا ينفض وكأنهما سجيتان قسريتان من سجايا الإنسان الكردي في كل زمان ومكان. وفي التراث الشعبي الكردي قد نشاهد صوراً باهرة من القسوة في التنافس بين الآباء والأبناء وبين الشقيق والشقيق مثال ذلك ما ورد في "ملحمة" حمدين وشمدين إذ كان والد شمدين "وهو الأخ الأكبر" ووالد حمدين "وهو الأخ الأصغر" يعيشان في ودٍ و وئام، يديران شؤون العشيرة ويسوسان الرعية على أحسن الوجه، ثم ما لبث الحساد والوشاة والأفاكون حتى أفسدوا ما بينهما من الألفة والانسجام بعدما زعموا لوالد شمدين أن أخاه الأصغر والد حمدين يسعى إلى نزع السلطة من يده وإقصائه عن زعامة العشيرة، ووسعهم أن يوعزوا صدره فنقم على أخيه ثم دبر مكيدة لاغتياله. إلا أن الرواية- بعد كثر من الأحداث- تتجه إلى منحى إنساني حين يدرك حمدين أن والده قد غُدر به بتدبير الأعداء فيكف عن التفكير في الثأر وينشىء صرحاً للمودة بينه وبين ابن عمه حمدين ويلزم نفسه بنسيان ما جرى.

من الواضح أن التهافت على السيادة والاستئثار بالسلطة زيّنا للأخ أن يتخلص من أخيه خشية أن ينازعه المكانة ويسلب منه ملكاً.

إن الإنسان البدائي، إنسان الغابات والكهوف قد لا يميّز الخير من الشر ولا الحسنة من السيئة وقد لا يكون ملوماً لعلة افتقاره إلى مَلكَة التمييز، لأن مصدر سلوكه هو الغريزة الخرقاء التي لم تهذبها التربية ولم تشذ بها يد الحضارة. إننا وإن التمسنا عذراً لهذا الأهوج البدائي، والتمسنا كذلك مثل هذا العذر لقابيل في جريرته التي تفشت فيما بعد بين الخليقة فلن يكون في وسعنا العثور على ذريعة مهما كانت واهية لإنسان خرج من ربقة الجهل، واستوعب أفانين المعارف والعلوم واكتشف كثيراً من الأسرار في الكون فإن ارتكب إثماً ارتكبه عن دراية وإدراك لأن عهده بالغابة والمغارة تجاوز الاف القرون والأعوام.

إن الإنسان الكردي مفطوراً على الجرأة والبسالة والإقدام أبيّ النفس يرفض أن يكون تابعاً لغيره، ويأبى أن تكون مقاليد أمره في يد الآخرين... وهو شديد الزهو بالبطولات... يخوض غمار المعارك دون خوف أو وجل، يباهي الناس بأسلافه ويفاخر بمآثرهم و وقائعهم.. متأجج العاطفة.. يعطف على الغرباء ويمنحهم ثقته ويركن إليهم.. ولم استغل الغرباء هذه الثقة واحتالوا عليه والحقوا به وبأرضه المصائب والويلات والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى ولا تعد. إن تلك الثقة العمياء وتلك العواطف الجياشة والأنانية وحب الذات وعلل نخرت العظم في الجسد الكردي منذ آمادٍ طويلة ومازالت تنخر دون هوادة وتمزق كيانه. وهذه الأسقام باتت بأسماء هي التي جعلت من دولته الموحدة أجزاء لا تكاد تتجزأ "فإذا كل جزء من أجزائها أجزاء".

إننا لو ألقينا نظرة عجلى على المصورات والخرائط الجغرافية لشتى أصقاع الكرة الأرضية لما ألقينا أو عثرنا على رقعة من الأرض مثل أرض كردستان قامت عليها إمارات وخانات ودول صغيرة ودويلات بأسماء وزعامات مختلفة. ولم تكن في عهد من عهودها تخلو من شقاق وتنازع بين أصحاب السلطة والمهيمنين عليها متغاضين عن إخوّة العرق والوطن واللسان.

يتحدث المفكر الشاعر والأديب أوصمان صبري (١٩٠٥-١٩٩٣)م في إحدى كتاباته التي تتناول سيرته الذاتية عن عدة إمارات صغيرة نشأت على مساحة صغيرة من الأرض الكردستانية "ذكر فيها اسماءها وألمّ بأسماء أمرائها وذكر أنه سليل أحد اولئك الأمراء الذين حكموا تلك الإمارات ذات المساحات الضيقة.

لابأس في أن يتذكر المرء مكرمات آبائه وأجداده، ويتذكر أيام سعدهم في ماضيهم المشرق العتيد، ويسرد قصص مآثرهم ويستحضر ما ازدهر من حضارتهم في يوم من الأيام... إلا أنه من غير المستحسن أن يستغرق في التخيل والعيش في الماضي والغياب عن حاضره وصرف النظر عن مستقبله.

إننا اليوم بأمس الحاجة إلى من يكشف لنا أخطاء أو عيوب، لا أن يلتمس لنا الأعذار في انحرافنا عن سواء السبيل.

يُروى أن أحد الحكماء اعتكف في بيته واعتزل الناس، فلما طال مكوثه خوطب في سر ابتعاده عنهم فقال لهم:

-وماذا أصنع بقوم يخفون عني عيوبي؟

إن الأمم والشعوب لا تموت ولا تفنى ولكنها قد تنُدحر إذا أُهمل أمرها وسها عنها أهل الحل والربط.

إن الكُرد لن يهزموا بعد اليوم من ضعف أو قلة عدد، إذا صدقت النية وصح العزم وحاذروا أن يقعوا في حبائل المخاتلين وتخلى الكبار عن نرجسيتهم، وعندئذ لا بدّ من أن يبلغوا ذروة المجد الذي به يحلمون.

الأدب الفانتازيا Fantasy Literature

للأدب مسالك ومذاهب، ومن هذه المذاهب الأدبية: الأدب الفانتازي، أي الأدب الخيالي أو الرواية الخيالية التي ترادفها في اللغة الانكليزية كلمة Fiction.

والفانتازيا في الأدب سَفرٌ أو رحلة في الذهن.. تُغرق الفكر في عالم من الصور والأوهام والكائنات التي لا تدركها حواسنا.. وتسبغ على النفس متعة تعجز عن وصفها الكلمات. ورواية "دونكيشوت" هي رحلة ذهنية تكشف عن أسرار خفيةٍ فيما وراء "السيف" سيف "دونكيشوت".

إن هذه الرحلة الذهنية تضم في طياتها قافلة عدادها من الجن والشياطين والإنس والملائكة والحوريات وكائنات غيبية" في ما وراء الطبيعة". وقد صيغت على هذا النحو قصص أسطورية رمزية. فلو أننا نظرنا في الواقع لم نجد شيئاً اسمه "المصباح السحري" أو مصباح علاء الدين، ولكن هذا الاسم ورد مراراً في كتاب قصص: "ألف ليلة وليلة" الذي تروي القصة حكايته بأسلوبها الخاص وكأنَّ هذا المصباح كان موجوداً في يوم من الأيام في حيازة فتى يدعى علاء الدين إلى آخر الحكاية. وهذه القصص الخيالية تزخرفها الأحداث الغريبة وتضفي عليها طعماً مثيراً يدعو إلى ملاحقتها حتى النهاية.

من الكتب القيمة والنادرة التي تسير في ركب الرحلة الذهبية "الفانتازيا"، هذه الكتب التي كتبت بمهارة فائقة بأسلوب بلاغي بارع، كتاب "الأوديسا" للشاعر هوميروس، ودونكيشوت لسرفانتس، ونبيل اليانسان، والخاتم السحري أو خاتم سليمان، و قصة سندباد البحري وجعبة علاء الدين وبساط الريح و وادي الجواهر.

كانت بداية السفر الذهني منذ بضعة آلاف من الأعوام في بعض هذه الكتابات الخيالية وسوف يستمر هذا السفر في ذهن الإنسان دون سأم أو ملل.

وفي فحوى قصة "نبيل اليانسان" وصف لخاتم سحري من تختم به خفي عن الأنظار ولكنّ حامله يرى الآخرين وهم لا يرونه. وفي هذه القصة من الخيال ما لا يحتاج إلى التنويه به، أو لفت نظر القارئ إليه.

وأروع ما ابتدعه فكر الأدباء ملحمة أو أسطورة "الأوديسا" التي هي في قمة هذا الفن وهي النموذج الأصيل لجميع الكتابات الأسطورية. في هذه الأسطورة خزينة مترعة بالنوازع النفسية والطموح والرغبات الجسدية، والشهوات الجنسية.. وأمام هذه الدعوات الغريزية حظرٌ وكبت، وعندئذ لا يرى بداً من اختيار أحد السبيلين، فإمّا أن يجري البطل في الرواية مع هذه الشهوات فيهلك ويموت. وإما أن لا يخفض لها هامته وأن يتصدى لها

وينتصر. ففي بعض الروايات الخيالية تكون الملذات الجنسية مصدر آفات وويلات. وتحدث المآسي الهائلة.

لا نعثر في الأدب الخيالي "الفانتازي" على بعض الأمور مثل الملهاة- "الكوميديا" والمسرات، والحبور.. في هذا الفن الأدبي ذكر للموت وذكر للعودة منه وذكر للبعث، حيث يرحل البطل إلى عالم الأموات ويمكث هناك يرى الذين رحلوا قبله ثم يعود إلى عالم الأحياء. إن الأدب الخيالي "الفانتازي" يقتبس ركائزه من الأساطير اليونانية التي تتحدث عن إله الظلام وعن رحلة ذهابه. فهو يصدر عن القصص والروايات والأقصوصة الميثولوجية والأحداث التاريخية في العهود الغابرة كما يصدر هذا الأدب الخيالي عن القصص القصيرة الخيالية الحديثة.

يهتم الأدب الخيالي بأحداث لم تقع وبأمور في الطبيعة لم تحدث في يوم من الأيام ولكنها ترد وكأنها أحداث حقيقية. وللتحليل النفسي "السيكولوجيا" في هذا الفن الأدبي مكانة مرموقة عالية.. وفيه الهزل والجد.. وكثير من هذه القصص الخيالية مرقشة ومطعمة بزخرف الحديث عن الحوريات والجنيات.. وكتبها كبار الأدباء العالميين مثل: بلزاك، وهوغر، وكافكا، وفلوبرت، وموباسان. ومنذ القديم ظهرت قصص شعبية "فولكلورية" رويت على هذا النمط مثل قصص "ألف ليلة وليلة" ثم جاء بعض الكتاب فدونوها تدويناً متفرقاً وفي خاتمة المطاف جُمعتْ في كتاب واحد، وفي هذه القصص يؤدي المردة

والعفاريت دوراً خطيراً ووظيفة كبيرة... ومع ان العفاريت والمردة ليست بكائنات وليس لها وجود فإن هؤلاء العفاريت والمردة من الجن هم الذين يسبغون عذوبة على جو القصة ويدفعون القارئ إلى الجري وراء الأحداث ومتابعة تسلسلها.

يقول الباحث: نوثروب فراي: إن الأدب يتأرجح بين الوهم والحقيقة وبين الخيال والواقع بين السلبية والايجابية بين العدم والوجود. إنّ "هاملت" و"فلستراف" حقيقيان أو غير حقيقيين موجودان وغير موجودين وهذه الحالة هي التي تفضي بالأدب الى حالة التأرجح والتذبذب. ومن البديهي أن الرواية الخيالية تتناول أحداثها بل بعض أحداثها من واقع الحياة والبعض الآخر من فكر الروائي ونسجه. وهكذا تكون الرواية مزيجاً من النقيضين السالب والموجب.. الماء والسراب والوهم والحقيقة.

وفي أيام متأخرة ظهر نوع جديد من الروايات الخيالية التي تصف الفضاء وتتحدث عن الكواكب والنجوم والمجرات وعن الرجال الآليين (الروبوت) وعن غزو العوالم المجهولة على المراكب الفضائية، أُطِلقَ على هذه الروايات اسم "حرب النجوم". وهذه الروايات التي تعرف باسم الخيال العلمي صدرت في كتب ومثلت في أفلام السينما. ومن الروايات والقصص الأسطورية التي ساهمت "الفانتازيا" في بنائها المتألق: أسطورة "الملك آرتور" وأعمال الساحر: بيلابو.

وقد استطاع الكاتب ر. تولكيين أن يترك بصماته على تاريخ أدبنا المعاصر الخيالي من خلال روايته سيد الخواتم وهو الذي تُرجمت أعماله الأدبية إلى لغات كثيرة وكانت كتبه أكثر رواجاً من الكتب الأخرى في شتى أنحاء المعمورة وأكثرها بيعاً.

إن كتب الرواية الفانتازية تُنسج من خيوط الخيال، وللخيال أهمية عظيمة في تعلق الإنسان وشغفه بالمجهول ومحاولة معرفته واستكناه ماهيته، لذلك كان هذا اللون من الأدب أكثر انتشاراً وأكثر إقبالاً عليه. والجري وراء الخيال تعبير عن السعي وراء الآمال والأمنيات، ففي رواية ج.ر.تولكيين "نبيل الياسان" يبحث أبطاله عن كنز مخفي أو مفقود. فمنذ ألف عام في عالم مصطنع "من صنع الخيال" يعيش جيل من الناس يدعى "هوبيت" وهؤلاء الناس جنس من الأقزام وأبطال الرواية هنا هم "بيلابو" و "باكينز" و "كالفالدي الساحر، وثلاثة عشر من الأقزام"، ولدى البحث عن الكنز يعثر "بيلابو" على خاتم سحري ويجلبه إلى البيت ويضعه في مكان ما من المنزل، وسر سحر هذا الخاتم أن من حمله وتختم به اختفى عن الأنظار، يرى الناس والأشياء ولكن الناس لا يرونه. وكان "بيلابو" عالماً بسر خاتمه السحري وسبق أن جرّبه واستخدمه عندما كان يريد الاختفاء عن العيون. وحرصاً عليه وخشية أن يضيع أو يسرق ثبته بسلسلة ودسه في جيبه. أما صانع هذا الخاتم فهو "السيد الأسود" ولكنه يفقده في يوم من الأيام ويضيع منه، ومن مزايا هذا الخاتم أن حامله يغدو سلطاناً على كل الأشياء ويصبح خالداً.

وفي الحقيقة ليس في بني البشر من لا يتمنى أن يمتلك خاتماً مثل ذلك الخاتم ليحقق به أمنياته. والقارئ عند قراءته لهذا النص لا بد من أن يستبيه الخيال ويستسلم لأحلام اليقظة واجياً أن يكون صاحب هذا الخاتم في يوم من الأيام فيقرؤه بكل ما لديه من عشق للقراءة وشغفٍ بها.

الفن التمثيلي

فن التمثيل أو المسرحية:

إن الأثر الذي يتركه التمثيل المسرحي في النفوس أعمق وأبلغ مما يتركه "فليم سينمائي" فهو إذن أهم من السينما، والممثل الذي سبق له العمل في المسرح يستطيع أداء أدواره في العمل السينمائي إذا أسندت إليه ادوار سينمائية بشكل رائع أفضل مما يؤديه ممثل سينمائي عادي وكثيرون من الممثلين البارعين في الأداء السينمائي الذين نالوا شهرة واسعة بدأوا –أول وهلة- الاشتغال والاهتمام بالفن المسرحي.

للعمل التمثيلي شهرته في الأوساط الشعبية بين الأكراد. ففي الأيام الغابرة، في مناسبات حفلات العرس، في حلقات الرقص، كان بعض الممثلين الشعبيين يقومون بعرض تمثيليات. اذكر من هذه التمثيليات تمثيلة "الكوسج"[٢] وكان الناس الحاضرون يشاهدونها ويستمعون إلى الممثلين مستمتعين بذلك حتى تنتهي التمثيلة.. كان ذلك في أيام الصبا، واذكر أيضاً من ذلك العهد تمثيلة "الأمير ومعاونه". وكانت هذه التمثيليات تعرض في حلقات الرقص كما تقدم التمثيلية على خشبة المسارح. أما اليوم فقد تبدلت أعراس الكُرد وصارت تقام في الأندية وصالات

[٢] -الكوسج: الشخص الذي لا ينبت الشعر على عارضيه.

الأفراح كما تغيّرت أساليب الطرب والغناء والموسيقى. أما في عيد نوروز فتقوم أغلب الفرق الفنية الفولكلورية الشعبية –حسب الظروف الأمنية- بتقديم عروضها المسرحية، و بإمكانياتها الفنية المتواضعة والبسيطة. إنّ أحوال التمثيل الكردي ليست على ما يرام وليست هناك دلائل على تقدم هذا الفن أو على تطوره تقدماً وتطوراً كبيرين. والآن مع أنّ هناك محاولات لدفعه إلى الأمام إلاّ أنها محاولات بائسة لا تقدم له نفعاً كبيراً. وما زال يشكو وهناً وضعفاً في بنيته على الرغم من أن بعض التمثيليات تعرض على المسارح الآن ولكن ذلك لا يسمن ولا يُغني.. كما أن المسرحيات التي يؤلفها الأدباء الكُرد وتصدر بها الكتب قليلة جداً لا تملأ الفراغ في العمل المسرحي، وهؤلاء الأدباء وعددهم قليل عاجزون عن السير بالفن المسرحي إلى حدود مُرضية.

في الفترة الأخيرة تأسست جمعيات تهتم بالفن المسرحي ولكنها لم تكن جمعيات محترفة يتقن ممثلوها حرفة التمثيل ولكنهم كانوا يمارسون التمثيل كهواة مازالوا في بداية الطريق. وهذه المسرحيات التي تقُدم بين حين وآخر لا تتصف بالجزالة. وما دام أصحاب هذه الجمعيات أكرادا، وما داموا يقدمون مسرحياتهم للأجيال الكردية وجب أن تكون لغة الأداء كردية وحسب. والغريب في الأمر ان الأداء المسرحي يتم –عند كُرد الجنوب- بالنطق بعبارتين كرديتين ثم بعبارتين تركيتين.

سبق لنا القول بأن الكتابات المسرحية قليلة لدى الكتاب الكُرد ولكنَّ كتباً – في أيامنا- في المسرح ترجمت إلى اللغة الكردية من لغات أجنبية لكبار الكتاب العالميين التقليديين "الكلاسيكيين".. وسوف يستطيع الممثلون تقديم العروض المسرحية باللغة الكردية المحضة. وفي بعض المسرحيات عند تقديمها يكون المسرح نفسه ذا أهمية كبرى من حيث "الديكور" والملابس والإضاءة. ويجب أن تنفّذ هذه الأمور بدقة وإتقان.

والكتابة المسرحية فرع آخر، وجنس آخر من الأدب، والأدب في حد ذاته علم ومعرفة، والمسرحية هي من مواضيع علم الأدب. وفي هذا العلم يأتي دور الكاتب المسرحي في المقدمة لأنه بفضل عمله الأدبي المسرحي يفتح الباب أمام الممثلين لأداء وظيفتهم في التمثيل.

يقال إن المسرح هو خزينة الفن، والفن المسرحي هو الذي مهّد السبيل للسينما. وفي أثناء تقديم عرض من العروض المسرحية تقع على عاتق الممثل أعباء باهظة لأنه مكلف عن طريق أدائه على المسرح بإثارة مشاعر المشاهدين و دفعهم إلى التفكير فإذا أتقن عمله في الأداء كان حرياً به أن يشد إليه اهتمام الجمهور المشاهد. وأهم من هذا وذاك هو الحوار الذي يجري على خشبة المسرح. والانتقال من حوار إلى حوار وإدخال حديث في آخر يحتاجان إلى خبرة ومران ومعرفة وبراعة.

وفي المسرح أهمية كبرى للمكان والزمان والحدث. فالتراجيديا اليونانية تتطلب الجمع بين المكان والزمان والأحداث وتطبيق قواعد "أرسطو" والإلتزام بها، وهي القواعد الجمالية. ولنقل على سبيل المثال أن كاتباً مسرحياً أراد ان يكتب عن حدث يجري في خلال ساعتين في المكان نفسه فعليه أن يكتب عن الإرهاصات والأحوال التي سبقت الحدث. فلو أننا تعرضنا لقضية زواج "أوديب" من أمه فلا بُدَّ من أن نعود إلى الملابسات والأسباب التي أحاطت بهذا الحدث الغريب. لأن زواجه بوالدته لم يتم إلا بعد أن قتل والده وهو لا يعرفه ويتزوج من والدته وهو لا يعرفها لذلك كان الإلمام بهذه الظروف أمراً ضرورياً. لا محيد عنه. وعلى الكاتب أن يذكر في البداية متى وأين يجب أن يجري هذا الحدث أو ذاك. ربما كانت الحادثة التي سيجري تشخيصها على أرضية المسرح قد وقعت في لندن أو برلين أو قامشلو أو في مستشفى أو في منطقة جبلية، لذلك كان من الضرورة بمكانٍ الإشارة إلى أماكن الحادثة وتحديدها إبان أداء الأدوار. وهذا يقتضي أن تكون صلة الكاتب بأرض المسرح متينة ووثيقة. وإذا كان الحديث المسرحي عن "مدريد" أو "استانبول" أو "ديار بكر" أو قامشلو فعلى الكاتب أن يعرّف بهذه المدن وأن يكون على معرفة بالأخدوعة وتقنياتها "أي الخدع المعروفة في إنتاج الصور السينمائية" وعليه أن يعلم أنّ الأداء التمثيلي لا يستقيم بمنأى عن الأخدوعة. ولتقريب هذا المعنى إلى الإفهام سأورد على ذلك مثلاً: شخص ضرير "أعمى" يعتقد أنه يسكن قصراً

فخماً ولكنه في الحقيقة يعيش في كوخ وطئ حقير، ويعتقد أنه يحني قامته لملك وسيم ويركع أمامه بينما هو في الواقع يخفض هامته لشبح قميء دميم ويجثو أمامه.. وهنا نرى أنّ موقع القصر والكوخ مكان واحد.. إلا أنه في ذهن الأعمى شيء وفي الحقيقة هو شيء آخر.. وهكذا يكون الشيء الواحد شيئين والمكان الواحد مكانين. المكان الذي يعتقده الأعمى والمكان الذي يراه المشاهد. والخدعة هي التي تستطيع أن تعبث وتتلاعب بالمشهد أمام الأعين. والفن المسرحي هو ككل الفنون عالم خاص مصطنع له أشكاله وأبعاده. ولكن تشكيل عالم جديد مصطنع لا يتأتى بسهولة مهما كان قريباً من المنطق لأن المقاييس والقواعد الجمالية لها حدود. إنّ جميع الأعمال الفنية تنتفع بتقنيات عصرها.

بعد أن توقفنا إزاء مسألة "المكان" وإن كان وقوفنا سريعاً ومقتضباً، سنتعرض لمسألة "الزمن- الوقت-الحقبة". لأن المسرحية ليست بالمكان وحده: لها علاقة بالزمن أيضاً، ولعنصري الزمن والمكان حضور على خشبة المسرح لا بد منه. بيد أن الزمن قد يكون مفقوداً في بعض المسرحيات التراجيدية "المأساة". وكأن الزمان بطبيعته متصل بعضه بالبعض الآخر. ويتعقب أولُه آخره. ولا نقصد أن يكون الأمر هكذا دائماً بالضرورة. نجد مثال ذلك في التمثيلة التي كتبها "نسترون" وسماها: "الموت في يوم العرس" وهي مسرحية هزلية. في هذه المسرحية يُسدل ستاران في الوقت نفسه وفي اللحظة نفسها. حيث يُجمع الستاران ويُربط أحدهما بالآخر بطريقة متقنة

وبارعة. وفي المسرحية يمكن التصرف في المدة الزمنية، حيث يمكن السير بالزمن حثيثاً، أو السير به متأنياً بطيئاً، ويمكن اختصاره وكذا إطالته، ويمكن جعله راكداً من غير حركة كما يمكن تجديده.

للأشكال والصور والمظاهر أيضاً أهمية قصوى، حيث يختلف بطل "التراجيديا" عن بطل "الكوميديا" وبين الطرفين شأو بعيد في المظهر والمشهد، فبطل "التراجيديا" يمتلك من الخصوصية والتميز ما ليس لغيره وعندئذ على الممثل الذي يؤدي دور هذا البطل أن يهيّج المشاهدين ويحرك أشجانهم ببراعة أدائه وإتقان دوره. وأن يخلط بين الخطيئة والبراءة وإظهارهما حسب الأصول والقواعد. ولنقل أنَّ أحد أبطال المسرحية كان شخصاً سيئاً عندئذ ينبغي لكاتب المسرحية أن يبث الروح في مساوئ هذا البطل الفاسد ويضخمها.

في إحدى المسرحيات الألمانية يتحول شخص أنيق المظهر – في الحال- إلى شيطان. وهنا تبرز ثمرة الإبداع الفني ويتجلى تأثيره.

في إحدى مسرحيات العهد القديم، بل إحدى مسرحيات شكسبير حصراً وبالتحد نجد البطل رجلاً نبيلاً ينحدر من طبقة ارستقراطية صاحب عز، مطوقاً بالحسب والنسب مكللاً بالمجد. لكن نفسه مترعة بالهموم والأتراح مقرّح الجفون دائم الشكوى فهو في أشد حالات البؤس والشقاء. فإذا رآه مشاهد عادي من

طبقة دون طبقة هذا الرجل وكان يعاني بعض ما يعاني "البطل" ويأخذ من حالاته بنصيب لهان عليه ما يلقى من شقاء إزاء ما يراه على خشبة المسرح.

للغة أيضاً- أهمية بالغة في العمل المسرحي، واللغة هي الأسس والقاعدة والمحرّض الأكبر في المسرحية فإذا أجاد الممثل دوره في الإلقاء لاستطاع تهييج "النظارة" وإثارة عواطفهم إثارة جياشةً. كما يستطيع أن يجعل الخبر العادي خبراً مسرحياً مثيراً، يلفت انتباه المشاهدين.

إن استخدام اللغة في المسرح بإتقان هو في الحقيقة فن قائم بنفسه.

الأدب والنقد

النقد الأدبي:

إن المجتمعات الإنسانية التي تخلو من النقد والناقدين لا يتقدم فيها الفكر ولا يرتقي ويظل في حالة بائسة من الركود. وفي المجتمعات المتخلفة- إن وُجد فيه ضرب من النقد- فإنما يكون هذا النقد هشاً لا يستند إلى أسس أو قاعدة علمية.. ويكون في الوقت نفسه مفعماً بالحقد، مليئاً بالحسد والكراهية والعداء وربما شجر خلاف باسم الجدل ونشبت معارك.

في كثير من البلاد يكون النقد الأدبي جزءاً مستقلاً، وأداة من أدوات الأدب. حسب رأينا أن الذي يهذّب الأدب ويذهب به صعداً نحو الرقي هو النقد الأدبي. ونحن الكُرد نفتقد إلى ناقد مثل "بلنسكي الروسي" حتى يتطور الأدب الكردي نحو الرفعة والرقي.

قلنا إن الأدب لا يتطور من دون نقد، والنقد الأدبي حاجة ملحة وضرورة كبرى، إنه كالخبز والماء في حياة الأدب. وما أحوج الأدب الكردي إلى النقد الأدبي إلى هذا الخبز والماء.

لقد صدر في الأعوام الأخيرة كتب كثيرة باللغة الكردية في الوطن وفي خارج الوطن إلا أنها لم تنل حظاً من النقد أو التقييم. إن الأدب الكردي يعيش على هامش النقد، والنقد لدى الكُرد واهٍ وواهن وضعيف البنية لا تكاد تقوم له قائمة بين الكتابات. وفي

مجال النقد والتقييم قلما نقرأ كلمة نقد في الصحف والمجلات الكردية.

يتحدث تشونفسكي عن بلنسكي:

"إن أجلَّ وأكرم نقد للأدب الروسي انبثق من قلم بلنسكي.

ويقول عنه نكروسوف:

"بمنطقك السديد وحكمتك فتحت دروباً جديدة لأدب بلادك".

ان القارئ المتأمل في كتاب "بلنسكي" يرى أن الآراء والنظريات والأفكار التي وضعها – وإن لم يكن جميعها- ما زالت صحتها قائمة حتى يومنا هذا.

ولد: بلنسكي عام ١٨١١م وتوفي في عام ١٨٤٨م بسبب ورم خبيث. كان بلنسكي ابن طبيب، وفي أيام دراسته الجامعية في جامعة "موسكو" كتب مسرحية، ففصل من الجامعة بسبب هذه المسرحية وحيل بينه وبين متابعة دراسته وإنهائها.

كانت رؤية بلنسكي وأفكاره فلسفية رومانسية، وكان رجلاً عقلانياً يؤمن بقوة العلم، وكان في حياته العملية حر التفكير والاختيار مكافحاً. وكان يعبر عن إيمانه بقوة الشعب في كتاباته وكان عظيم الثقة بالمنطق التاريخي. سافر إلى أوروبا وشاهد النظام الرأسمالي وعبر عن موقفه إزاءه دون أن يقيم أي اعتبار لغير الحقيقة. ويقول لينين عن بلنسكي:

"إن بلنسكي يحتل الصدارة في المجتمع الديمقراطي الروسي وإن آراءه ونظرياته النابضة بالحياة ما تزال حتى اليوم تحافظ على صداها وحيويتها.

كان "بلنسكي" قد طاف وتجول كثيراً في أنحاء أوروبا الغربية. وأقام أمداً طويلاً في ألمانيا وفرنسا.. كتب كثيراً وكانت كتاباته تبحث في الأدب، والفن، والثقافة، والفلسفة، والتاريخ... وكانت كتاباته الأدبية جميعها تعالج الشؤون النقدية في الأدب من نقد وتقييم،.. لقد كان بلنسكي يحافظ على المدرسة الواقعية في الأدب. وكان- في كتاباته- يولي الأدب اهتماماً كبيراً.

خواء النقد أو الفراغ النقدي:

إن الأدب الجاد، القويم، يستمد عزمه من العملية النقدية المتخذة من الأسس الادبية ومنشأه في ذاك الشعب الصادر عنه (فلكلور) نهجاً ومراداً، لأن النقد يسير به إلى الأمام ويفتح له السبل، وبالنقد ينمو ويقوى ويغتني ويزداد ثراءً ورخاءً. بَيْدَ أن للنقد أصنافاً وألواناً.. فمن النقد ما يكون أجوف خاوياً.. ومنه ما يكون فاسداً لا يقوم به صلاح ولا ينفع في شيء سوى أنه يسيء إلى الأدب ويفسده كما يسيء إلى بقية الفنون على حد سواء.. ولكن النقد العلمي، النقد الموضوعي القائم على المعرفة.. النقد البناء ينال منه الأدب والأدباء فوائد جمة وفضلاً كبيراً.

ولكي نمتلك رصيداً من الثقافة يوماً بعد يوم ويتجدد أدبنا لا بد من وجود نقدٍ علمي واضح وصريح لا يحابي ولا يمالئ في أداء وظيفته السامية..

إننا في قراءتنا للأدب في كافة مذاهبه ومقاصده نجد مكان النقد موحشاً فارعاً وإن وَجد منه شيء فهو هزيل متضعضع ليس له معايير أو موازين علمية ثابتة.. وهذا الفراغ في العملية النقدية يجلب معه المعوقات ويحمّل الأدب أعباءً باهظة. لأن الآداب والفنون والثقافات بمجملها لا تستطيع حل عقدها ومعالجة معضلاتها من غير نقد.

لقد صدرت كتب كثيرة في الرواية والقصة والشعر، وما تزال المطابع- سنة بعد أخرى_ سخية في إصدار عشرات الكتب الكردية. ولكننا لم نجد من التفت إليها أو نقدها أو ذكرها –في صحيفة أو مجلة- بكلمة مدح أو قدح.. لم نجد من تكلم عن فحوى هذه الكتب.. عن أسلوبها.. لغتها عن قوة سبكها.. فلو قيّض لأصحاب تلك الكتب ناقدون يكشفون حسناتهم ويدلونهم على سيئاتهم وأخطائهم لأخذوا من هذا النقد دروساً ستنفعهم في مسيرتهم الأدبية.

إن الكتاب ليس ملكاً لمؤلفه وحسب بل هو سلعة على الشيوع يتقاسمها المؤلف والقارئ والناقد.. وهكذا يكون للكتاب ثلاثة أصحاب لكل منهم حصته وقسمتهُ.

في البدء يؤلف الكاتب كتابه فإذا طبع وصدر تغيّرت صيغة الملكية، وعندئذ يمتلكه القارئ ولا يبقى للمؤلف به شأن. والقارئ بانكبابه على قراءة هذا الكتاب يجعل الكتاب خالداً. أما الناقد فهو الجسر الراسخ بين المؤلف والقراء.. الجسر الذي يجمع بين الكاتب والقارئ ويكون عوناً ومسعفاً لهما.. فيحرض القارئ على الاستزادة من القراءة ويحث الكاتب على الاتيان بمزيد من الحسنات في عمل كتابيّ آخر في قابل الأيام. وهكذا يكون الناقد قد قدم خدمة جليلة للحياة الأدبية وجعلها أكثر نضارة وتألقاً وإشراقا.

إننا نعلم علم اليقين أن وظيفة الناقد ليست عملاً سهلاً يمكن ممارسته بيسر.. إنه عمل شاق بيد أنه لا بدّ من مزاولته لتجميل قسمات الأدب وملامح وجهه. وهو عمل مبارك دائماً.

يسعنا أن نقول: إن جميع الصحف والمجلات الكردية التي تصدر في هذه الأيام تعُنى بالشؤون والقضايا السياسية، حيث تنشر على صفحاتها –بكثافة- آراء ونظريات سياسية، وهذه الآراء والنظريات تكتب بغير اللغة الكردية تكتب باللغة العربية، والتركية، والفارسية، وقد تظهر فيها صفحات قليلة عليها كتابات كردية.. وهذه الكتابات ليست سوى بعض القصص والخواطر والشعر وما شابه ذلك. أما المواضيع التي تتناول المعضلات الأدبية وقضايا الفن والنقد فمن النادر جداً أن تنشر على هذه الصحف والمجلات.. وليس فيها زوايا للتعريف بالكتب

والروايات والصحف الكردية وما إليها من المنشورات.. ومن الغريب جداً أن نقرأ فيها تنويهاً بالكتب غير كردية، كما تنشر على صفحاتها المخصصة للثقافة والأدب بحوث عن اللغة العربية أو التركية أو الفارسية وآدابها. وفي اعتقادنا ان الصحف والكتب الكردية والشعراء الكُرد أحق بالتنويه بهم والإشادة بذكرهم والتعريف بهم على صفحات منشوراتنا ووسائل إعلامنا.

من المألوف في الأوساط الأدبية في تركيا وإيران والعالم العربي أنه كلما صدر كتاب لأحد المؤلفين تناولتها أقلام النقاد ووضعته في المكانة التي يستحقه بين الكتب بعد أن أشبعتهُ درساً وتمحيصاً. أما الكتب الكردية بشتى ألوانها وفروعها فليس لها أيّ نصيب من نقد أو تحليل أو تقييم.. ولكن.. ربما صدر كتاب كردي وتكرمت أحدى الصحف أو المجلات بذكر عنوانه واسم كاتبه وتحدثت عنه بكلام موجز خجول.

إن النقد الإيجابي-دون شك- عامل فعّال في إزالة النواقص والأخطاء. ولقد وُصِفَ الناقد بالعبارة التالية:"إن الناقد هو العين التي يبصر بها الأدب" وهذا الوصف حقيقة علمية، ولهذا ارتبطت المقدرة الأدبية بعملية النقد، إلا أننا لا نستطيع أن نتصور وجود كتّاب في النقد الأدبي بين الكتاب الأكراد. أما أولئك الذين يكتبون –وهم قلة- بين حين وآخر فإنما كتاباتهم ليست سوى تعريف بالعمل المنشور ويكون نقده شكلاً ليس له شأن يستحق الذكر ولا نجد مسوَّغاً لنعدّ أعمالهم تلك أعمالاً نقدية

بالمعنى الحرفي لكلمة النقد. أو أنها تدخل في نطاق العمل النقدي الأدبي. لأن النقد الأدبي يحتاج إلى موهبة في التحليل ومران وطول ممارسة للآداب. والأدب تقنية خاصة تحتاج إلى مهارة ونباهة وذوق، فمن أراد أن يكون ناقداً فعليه أن يكون أديباً.

النقد والمديح والذم والإطراء:

النقد والمديح أو المدح والقدح هما وجهان لـ "ميدالية" واحدة، لا ينفصل أحدهما عن الآخر وكل منهما يتمم الآخر. إننا نرى في الحياة العامة الأشياء المتناقضة بين الشر والخير والسالب والموجب والجميل والدميم. بعض هذه الأشياء تستحق المدح والإطراء والبعض الآخر جدير بالقدح والذم. وكذلك يجد النقد الأدبي هذه المفارقات والأضداد في العمل الأدبي فيضع كل شيء في مكانه الصحيح. ويقول لمن أجاد وأتقن: أحسنت صنعاً. ويقول لمن أخطأ وأساء: أسأت العمل فكفّ عن ذلك ولا تعد إليه، ويقول لمن أحسن: عد إلى مثله وأكثر منه. وقد يكون نص أدبي خلطاً بين السيئ والحسن والجيد المتقن والركيك الواهي وعندئذ ينظر النقد إلى النص بفكر فلسفي ويقول للكاتب: لقد أصبت هنا وأخطأت ها هنا. ومما يعيب الناقد الكردي أنه إذا رضي عن الشيء بجلّه وعظمه وبالغ في مدحه، وغضّ الطرف عن زلاته وهفواته ولم يؤاخذه بها أماذا سخط من شيء أو لم يرقه الشيء فسوف يقرعه بالقدح والذم والتحقير ويغضّ الطرف عن حسناته إن ظن أنه له شيئاً من الحسنات.

وقصارى القول: على الناقد الكردي أن لا ينصب من نفسه خصماً وحكماً في الوقت ذاته. وأن ينظر إلى الأمور بموضوعية.. وأن يتجرد عن الهوى والممالأة والتحيز والتحزب وأن يكون صادقاً مع الآخر مثلما يكون صادقاً مع نفسه وبذلك تستحسن خاتمة الأمور وينال كل ذي حق حقه وتنتصر عدالة العقل وتكون الحكمة هادياً ودليلاً.

تسمية القصة "جيروك = Çîrok"

كثر الحديث عن فن القصة وأساليبها، وكثرت تسمياتها ودلالاتها فإن الكُرد في الجنوب يطلقون عليها اسم "كورته جيروك kurteçîrok" "القصة القصيرة" ولست أخالفهم في ذلك، فقد وردت كلمة "جيروك çîrok" في الصحف ومجلات مثل: "هاوار ١٩٣٢-١٩٤٣م" و "روناهي ١٩٤٢-١٩٤٥م" و "روزا نو ١٩٤٣-١٩٤٦م" و "هيفيا ولات ١٩٦٣-١٩٦٥م" و"جيا ١٩٦٥-١٩٧٠م" و "هيفي ١٩٨٣-١٩٩٢م" وفي صحف ومجلات أخرى قديمة وحديثة وردت كلمة "جيروك çîrok" للدلالة على اسم هذا الفن. حتى أنَّ قصة فؤاد تمو- وهي القصة الكردية الأولى- التي نشرت في مجلة "روزا كورد"١٩١٣م تحت اسم "جيروك çîrok" وتم قبولها في فن القصة. وأكراد الاتحاد السوفيتي "سابقاً" يستخدمون كلمة "سرهاتي serhatî" مرادفاً لكلمة "جيروك çîrok". ومهما يكن من أمر فإن كلمة "سرهاتي serhatî" و "جيروك çîrok" و "كورته جيروك kurteçîrok" و "سربيهاتي serpêhatî" و "سربوري serbûrî" تقابلها في اللغة الانكليزية كلمة story- أي القصة. أو short story- القصة القصيرة. وعلاوة هذا وذاك فقد أطلقت كلمة Novel على القصص التي نشرت في بعض الكتب أو في بعض الصحف والمجلات وبشكل خاص بعد أعوام ١٩٩٠م بدلاً

عن كلمة "جيروك= çîrok" ومن جراء هذا التفاوت في التسمية كان الخلاف جارياً بين الكتاب وكان هذا الأمر مثيراً لجدلٍ كبير في ما يخص هذه الأسماء لمعنى واحد ومدى دقتها في التعبير عن هذا العمل الفني. وفي لغات كثيرة برزت نظريات غير متزنة عن أسلوب القصة وطريقة كتابتها وحبكتها وتسلسل أحداثها إلى آخر ما هنالك من شروط- إلا أن هذه المعضلة حُلّت ووضعت للقصة قوانين ومناهج عن طريق الأكاديميين والعلماء المختصين. والأتراك في عهد ما قبل الجمهورية وفي عهد الجمهورية وفي ما بعد عهد الجمهورية يستخدمون كلمة Hikaye وهي مأخوذة من الكلمة العربية "حكاية". إلا أن المجمع اللغوي التركي لتهذيب اللغة التركية وتنقيتها من الدخيل، أقر إحداث كلمة "oyku" بدلاً عن "Hikaye" وقد شاعت هذه الكلمة الأخيرة يستخدمها الغالبية العظمى ممن يتحدثون باللغة التركية باستثناء الأتراك المحافظين.

وفي المهجر لم يكن الأدباء والكتاب بعيدين عن مثل هذا الجدل وهذه المهاترات النقدية في مجال هذا الفن "القصة أو الرواية" وقد داوموا على هذا الخلاف أمداً بعيداً. في السويد- أيضاً- يستخدمون كلمة Novel وقريب من مضمون كلمة Novel . berattelelse و historia إلا أن كلمة Novel في اللغة الانكليزية تعني "الرواية" وحسب. أما مدلولها فيتعدى إلى اثنين. ولفظهما في هاتين اللغتين الانكليزية والسويدية مختلفان عند النطق بهما. إلا أن الكُرد يلفظون كلمة Novel كما يلفظها

الانكليز، وهكذا تخرج القصة عن معناها الأصلي إلى معنى الرواية. والمسألة الأخرى أن القراء الكُرد المقيمين في السويد- بشكل عام- لا يدققون في الأمر ويجهلون هذه الحقيقة.

وفي الحقيقة هناك أشخاص يفهمون كلمة "جيروك çîrok" بمعنى مختلف كما هي الحال في كلمة "masal" التركية و "saya" السويدية وفي أرجاء كثيرة في كردستان عدد كبير من الناس يسمون "masal" "جيروك çîrok "، وفي مناطق أخرى أناس يقولون: çirçîrok" وقد وردت هذه الكلمة في مجلة "هاوار". ولئن اعتقد آخرون في ناحية هنا وهناك أن معنى "çîrok" و "çirçîrok" واحد ولا يفرقون بينهما إلا أن الفرق بين معنى هذين الاصطلاحين واضح وبيّنٌ لا مِراء في ذلك، وليس في ذلك أدنى ريب. فلكل منهما معنى مستقل عن الآخر. وفي الحياة اليومية وفي المحاورات العادية في المجتمعات يكثر تداول هذه الكلمة بين أفراد الشعب أي كلمة "çîrok" التي تعني القصة، فإذا سأل سائل أحدهم عن أخبار قوم من الأقوام ووجد أن الحديث قد يطول لأجاب: أن قصتهم طويلة ولم يقولوا روايتهم أو أقصوصتهم طويلة ذات شجون.

وهنا نجد أن كلمة "جيروك = çîrok" تعني "سربيهاتي= serpêhatî" التي تعني الأحداث التي يتعرض لها الشخص في حياته. وربما كانت هذه الأحداث عشقاً أو خيانة أو بطولة وبسالة

أو سرقة وسطواً وما إلى ذلك من ملمات ووقائع تواجه المرء وتجري في مسيرة حياته أو في مرحلة من مراحلها.

ولا ريب في أن القصة "جيروك" هي هذه الأحداث التي تعبر عنها الكلمات. ولكن كيف تكون عملية التعبير، وكيف يكون الربط بين الأحداث، وتستجلب الصور وتستحضر الأخيلة، وبصورة عامة كيف يكون القالب الأسلوبي الذي يستوعب المعاني والصياغة المؤثرة وهل يكون السرد القصصي مطولاً أم موجزاً. وعن هذا كتبت بحوث وجرت دراسات مستفيضة.

قد توجد قصة في مساحة نصف صفحة، وقد توجد في مساحة مائتي صفحة. يزعم بعض خبراء القصة إنها يجب أي "القصة=جيروك" في حدود /١٠/عشر صفحات. والبعض الآخر غض الطرف عن طول القصة وقِصرها ولم يعلق عليها أية أهمية، ونحن أيضاً لم ننظر في بحثنا هذا إلى الإسهاب والاسترسال وكذا الإيجاز والاختزال في القصة بعين الاعتبار.

وانّ Edgarallan poe الأمريكي يضع معياراً زمنياً للقصة في الطول والقصر ويربط ذلك بالمدة التي تُقرأ فيها القصة، ويرى أن القصة يجب أن تقرأ في غضون نصف ساعة أو في خلال ساعة أو ساعتين إلا أنه يرفض الحشو في القصة ويستهجنه ويراه مخلاً بها وسمة من سمات ركاكتها ووهنها وفساد بنيتها، ويرى أن القصة يجب أن تكون ملخصة ومكثفة في

سرد الأحداث وأن الكلمات التي لا تمت إلى القصة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يجب أن تُقصى وتبعد عن أجوائها.

وقد ربط تشيخوف ١٨٦٠-١٩٠٤م بهذا التعريف، هذا الكاتب الذي ألّف قرابة /٦٠٠/ستمائة قصة وقد صور فيها أشخاصا من فئات شتى وطبقات مختلفة تصويراً دقيقاً ووصف حالاتهم النفسية وصفاً عميقاً شاملاً. يقول: لو أن في القصة بندقية معلقة فيجب ان تنفجر قبل أن تصل القصة إلى خاتمتها.

لقد كتب أصحاب الأقلام عن القصة فتكلموا عن مضمونها وعن شكلها الخارجي وعن تركيبها وسبكها وعن بدايتها وخاتمتها وقالوا في ذلك أشياء كثيرة. و لـ تشيخوف رأي خاص في ماهية القصة. يقول: "إن القصة كتابةٌ فلو أنك حذفت منها قطعة من بدايتها وحذفت جزءاً من آخرها لأصبحت قصة".

وفي الأصل فإن تشيخوف يرغب بهذا التعريف المبتسر الشديد الإيجاز في أن يَدَعَ للقراء فرصة لتصوراتهم وأوهامهم. وهو بكل صراحة ووضوح لا يريد أن يحسب قراءه مغفلين وحمقى. فلا يقع في التفاصيل المملة ولا يلقنهم أفكاره وآراءه.

يقول القاص غوغول وهو أحد آباء القصة وروادها الذي وصفه مكسيم غوركي بقوله: "إن الأدب الروسي خرج من تحت معطفه" مشيراً إلى قصة "المعطف": إن شئت فليكن ثرياً أو فقيراً. قليل الوعي أو واسع الفكر.. وإن شئت فليكن صالحاً أو

طالحاً رديئاً، فإنَّ أهم وسيلة لدى كاتب القصة عند الشروع في كتابة قصة أن يختار أشخاصه من طبقته وأن يمعن ويدقق في حياتهم.

إن القصة من بين فروع الأدب أكثرها حداثة وأقربها عهداً الى هذا اليوم. إنها أكثر حداثة من الرواية "Roman" إلا أن البعض يعتقدون أن تاريخ القصة التي لم يُدوّن في الكتب والإسفار قديمٌ جداً، بل غارق في القدم. وتاريخ القصة التي كانت متداولة بين الناس شفهياً يعود الى آلاف الأعوام، وان قصصاً كردية كثيرة، وقصصاً شرقية وقصص ألف ليلة وليلة نماذج سبقت كتابة القصة الفنية الحديثة الأولى. إلا أنه في عام ١٣٠٠م ظهرت مجموعة قصص مكتوبة مجهولة الهوية خالية من اسم المؤلف بعنوان "conto novella" أي مائة قصة أو مائة حادثة، وكان هذا الكتاب يضم بين دفتيه قصصاً وأحداثا طريفة. وهذه المرة هي المرة الأولى التي ينشر فيها كتاب على هذه الشاكلة ويحتوي على هذا الجنس من الأدب.

ثم جاء Boccaccio وبفضل Decameron رسّخ مصطلح القصة ووطّد ركنها. ومع أن كتابات انسابت في القرن السابع عشر من قلم الفيلسوف الفرنسي فولتير في هيئة قصص وشكلها، وكُتبتْ كذلك قصص الرعب وقصص المردة والغيلان في انكلترا فإن المرء يستطيع أن يقول ببساطة إن عمر هذا الشكل

من الكتابة لا يبلغ /٢٠٠/مائتي سنة، وهذا الفرع هو أحدث الفروع الأدبية في دوحة الأدب.

أما القصة الفنية الراقية فقد جرت بها أقلام كتاب كبار مثل: بلزاك وتولستوي وهوغو وهمنغواي. ولكن المنزلة التي بلغها "E.Allan poe" و "تشيخوف" و"غي دي موباسان" في مجال القصة لم يبلغها أحد من كتاب القصة حتى اليوم.

القصة الكردية الأولى

عندما يتأمل المرء ويضع تاريخ فن القصة نصب عينيه ويعود بالقصة الأولى في هذه المقتطفات المختارة من تلك الحقبة ينتابه شعور بالراحة والرضى والاطمئنان. ولكنني بناءً على معايير وشروط القصة الفنية لا أستطيع الجزم بأن جميع هذه القصص المقتطفة قصص فنية أو أنها استوفت الموازين الفنية. ففي هذه المقتطفات قصص جزلة ورصينة وفيها أيضاً قصص ركيكة وواهنة وكذلك قصص بَيْنَ بين، لا توصف بالمتانة ولا بالركاكة. ومن المفيد أن نقول: إن قصص هذا البحث ليست قصصاً مختارة ولكنها قصص شتى تستغرق جميع أجناس القصة الكردية برمتها.

بناءً على نهج القصة القصيرة وخط سيرها – في هذا المقتطف- فإن تاريخ القصة الكردية يعود إلى أكثر من مائة وسبعين عاماً. قبل مائة وسبعين عاماً بدأت مسيرة القصة الكردية القصيرة الفنية. وحتى الآن فقد انحصر تاريخ القصة الكردية في قصة فؤاد تمو ١٩١٣م. واستناداً إلى بحثٍ "لفرهاد بيربال" أن تاريخ القصة الكردية أقدم من تاريخ قصة فؤاد تمو حيث يصل إلى منتصف القرن الثامن عشر. فقد وصلت إلينا قصة كتبها ملا محمود بيازيد ١٧٩٩-١٨٦٧م أي أنه كتب قصة في غضون هذه الأعوام، وكان ملا محمود بيازيد بارعاً في

الكتابة النثرية وترك أعمالاً كثيرة في النثر، وقد نجت أعماله من الضياع بفضلِ ودعمِ (آ.جابا) ووصلت إلى أيدينا. ومن أعمال ملا محمود بيازيد بين أيدينا كتابُه "عادات الأكراد". ومن أعماله ترجمته كتاب "شرفنامه" للبدليسي من الفارسية الى الكردية، كما قيّد قصصاً شعبية كردية "فولكلورية" بخطه على الورق وصانها من الضياع. وحسب ما يصرح به بيازيد نفسه وينقله إلينا فإنه قد استوحى قصته عن الملحمة الشعرية: مم و زين التي نظمها ملا أحمد خاني، وكان أحمد خاني قد بنى منظومته الروائية على قواعد الملحمة الشعبية "الفولكلورية" "ممي آلان".

أجل .. لقد أخذ الكاتب فكرة قصته عن ملحمة "خاني" وألبسها أسلوبا جديداً وجعلها أساساً لمضمون قصته، مسعيناً بأوصافاً وصوراً من ابتكاره الخاص ليخوض في شرح أحوال مدينة "الجزيرة" وفي وصف غرام "ستي وتاج الدين" وعشق "مم و زين". وقد وجدنا في قصة: "قصة مم و زين" التي كتبها ملا محمود بيازيدي كثيراً من نواقص وعيوب ووجدناها غير مستكملة لمقومات القصة الحديثة وشروطها، فإننا لو نظرنا نظرة تاريخية الى مراحل القصة الكردية التي كتبت فيها بصفتها فرعاً من فروع الأدب الفنية والى أحوال اللغة الكردية لاستطعنا بكل يسر وبساطة أن نعدّ قصة "بيازيد" فاتحة عهد القصة الفنية في الأدب الكردي، ولاستطعنا عندئذ إضافة سبعة عقود أخرى من الزمن الى عمر القصة الكردية الفنية. ولو أننا سلمنا جدلاً أنَّ قصة ملا محمود بيازيدي "قصة مم و زين" وقصة فؤاد تمو

"قصة" "Çîrok" التي تعني القصة، قد بدأ بهما عهد القصة الكردية الفنية فإننا لا نجد لهذين القاصين سوى عمل واحد وصل إلى أيدينا، ولكنني أميل إلى الاعتقاد بأن ملا محمود بيازيدي وفؤاد تمو كتبا أكثر من قصة. لأننا نجد في صحيفة "روزا كورد" في ما بعد قصة فؤاد تمو* كتابة تشير إلى أن لهذه القصة بقية أو أنها ستستأنف، ولكننا لا نجد بين أيدينا بقية القصة ولا أيّ شيء من هذا القبيل.

لقد وصل كل من ملا محمود بيازيدي وفؤاد تمو الى عصرنا هذا على جناحي قصة من قصصهما ورقَّنا اسميهما في سفر تاريخ الأدب الكردي وخلّداهما.

.....

*من الممكن أن يتاخذ من هذا التاريخ ٦-٦-١٩١٣م كميلاد القصة الكردية والاحتفال به في سائر كردستان لما لهذا اليوم من اهمية في تاريخ القصة الكردية. "الكاتب"

غرب كردستان

مجلة "هاوار ١٩٣٢-١٩٤٣م"

و "روناهي ١٩٤٢-١٩٤٥م"

و "روزا نو ١٩٤٣-١٩٤٦م" والقصة الكردية:

هذه المجلات والصحف الكردية التي ساهم في إعدادها ونشرها الشقيقان: جلادت وكاميران عالي بدرخان في دمشق وبيروت. كانت الغاية من صدورها اصطناع أدب كردي جديد وهِيُئَ لها أنْ تكون فيما بعد أساسا ومدرسة يتخرج منها الأدباء في قابل الأيام، وكانت هذه المجلات في الوقت نفسه جسراً بين القديم والحديث وصلة وصل بين الحاضر والماضي وعن طريق هذه المجلات ولاسيما مجلة "هاوار" التي كانت تنشر بالحروف اللاتينية وصلت إلى عصرنا نماذج من الأدب القديم "الكلاسيكي". والفرق بين هدف الجمهورية التركية ومجلة "هاوار" أن هذه الجمهورية كانت تعادي كل ما هو قديم وتحاول هدمه وتشييد الحديث على أنقاضه والشروع في البناء من جديد. ولكن مجلة "هاوار" البدرخانية كانت تحافظ على القديم وتصونه عن التلف والضياع وتتخذ منه ركناً متيناً يصلح لإنشاء أدب

حديث فوقه. ونظراً إلى ضرورات الأدب الحديث وحاجاته وما يحتاج إليه المجتمع من وعي فقد بادر جلادت في البداية إلى تجديد اللغة الكردية وانكب على البحث في أصولها وقواعدها ودراسة جوانبها دراسة جادة ومتقنة. كانت مجلة "هاوار" تصدر على صعيد أرض غير أرضها بعد اندحار كل الثورات وهزائم جميع الانتفاضات. كانت هذه المجلة تصدر على أرض غريبة وكانت في كل حالاتها تؤدي دور نظام في دولة ديمقراطية، وتؤدي دور وزارة للثقافة، وكانت تؤدي دوراً أكاديميا في نشر العلوم والمعرفة. لهذا وذاك فقد كانت أعباؤها باهظة وشاقة.

لم يكن ينبغي للغة الكردية أن تظل رهينة القديم "الكلاسيك" أو تختص بالأدب الفولكلوري "الأدب الشفهي". بل كان ينبغي لها أن تمارس جميع ألوان الأدب وكافة أصناف الكتابة.

وفي الحقيقة هذا هو ما فعله أولئك الكتاب "محررو هذه المجلات". فإن المرء اذا ألقى نظرة فاحصة على مجلة "هاوار" لقرأ على صفحاتها أجناسا من فنون الأدب ولكنه سيجد أنّ القصة قد نالت الحظ الأوفى والأوفر من صفحات المجلة وأنها أغزر المواد المنشورة فيها. ففي هذه المجلات مجلة: "هاوار" و "روناهي" و "روزا نو" نجد أن عشرات الكتاب قد ساهموا في صناعة القصة وكتابتها. إلا أننا نرى عند قراءة هذه المجلة أن شخصاً ما لم يكتب سوى قصة واحدة. وأن آخر كتب قصتين وأن كاتباً قد أكْثَر من كتابةِ هذا اللون الأدبي. وأن بعضاً من الكتاب

نشر أكثر من سبع قصص، ومع ذلك فإن أسماءهم لا تُدرج في قائمة كتاب القصة ولم يعرف عنهم أنهم متخصصون في هذا الفن. لأن معظمهم لم يظهروا على القراء إلا باهتمامهم بفروع أخرى من الأدب ولم يجعلوا همهم كتابة القصة والتفرغ لها فلم تقترن أسماؤهم بكتابة القصة ولم يُعرفوا بها، لأنهم كما سبق لنا القول كانوا عاكفين على الكتابة في فنونها الأخرى كالشعر أو البحوث الاجتماعية والسياسية والكتابة في تاريخ الأدب، وقد كانوا في الحقيقة أعضاء في أحزاب سياسية وأصحاب القرار فيها أي أنهم لم يلزموا أنفسهم بقضية دون أخرى، ولم يرتبطوا بجهة واحدة من المسائل السياسية أو العلمية. وكانت القضايا السياسية شاغلهم الأكبر. ولهذا فإن الاسفار التاريخية التي كتبت عنهم تحدثت عنهم بصفتهم رجال سياسة أحياناً وأحياناً أخرى بصفة شعراء أو علماء اللغة أو مؤرخين وأطواراً أخرى بصفة كتُاب القصة فلم تتضح هويتهم الأدبية.

يخبرنا الكاتب فرهاد بيربال في مقال نشره في مجلة "نو دم= العهد الجديد" في العدد الحادي عشر /١١/عام ١٩٩٤م بأن جلادت بدرخان نشر في مجلة "هاوار" /١٢/ اثنتي عشرة قصة. ونشر فيها أوصمان صبري /٧/سبع قصص ومصطفى أحمد /٦/ست قصص وبشار سكْمان /٤/أربع قصص. وقد ذكر كاتب المقال (بيربال) أن القصص التي كُتبت ونشرت في مجلة "هاوار" بلغت /٦٩/تسعاً وستين قصة وأن بين هذه القصص المنشورة /٦/ست قصص أجنبية تُرجمت الى اللغة الكردية.

أما في مجلة "روناهي"- كما يذكر الكاتب- فقد نُشرت /٤١/ إحدى وأربعون قصة فنية، و/٢٩/ تسع وعشرون قصة باللهجة الكرمانجية وثلاث أقصوصة و /١٠/ عشر قصص مترجمة. وفي مجلة "روزا نو" التي كان كاميران بدرخان مسؤولاً عنها ظهرت /١٩/ تسع عشرة قصة فنية وعشر /١٠/ قصص كرمانجية.

إننا حين نحصي القصص التي نشرت في هذه المجلات الثلاث نجد أن عددها يتجاوز المائة، ونجد أن جل هذه القصص من النمط الفني إلا أن معظم مؤلفي هذه القصص مجهولون ليس بين أيدينا ما يدلنا على هوياتهم، ولا نعرف عن سيرتهم شيئاً ولا نعلم من هم ومن أين هم. وماذا قدموا وماذا فعلوا، ولهذا فإننا حين نقرأ هذه القصص ونقرأ أسماء واضعي تلك الأسماء الغريبة ينتابنا الشك في أن جلادت بدرخان وراء هذه الأسماء المستعارة وهو الذي صاغها ثم شاء أن يبتكر لكل قصة اسماً وهمياً.

في هذه المجلات الثلاث العائدة للشقيقين نستطيع قراءة قصص فنية كثيرة إضافة إلى قصص كردية "كرمانجية" وأعمال أخرى بين أقصوصة وقصة مترجمة. وأكثر القصص المترجمة مقتبسة من الأدب الفرنسي ومترجمة عن الفرنسية، أما القصة والأقصوصة فهما في الغالب الأعم تعودان إلى مناطق "ماردين".

وعلى الرغم من هذا الكم الهائل من القصص وهذه الأسماء الكثيرة فإنّ اسم قدري جان واسم نورالدين ظاظا يقفزان في الحال إلى أذهاننا كلما ذكر اسم مجلة "هاوار" أو جرى الحديث عن القصة وكُتابها.

رائد القصة الكردية في مجلة 'هاوار'

قدري جان (١٩١١-١٩٧٢)م

ونورالدين ظاظا (١٩١٩-١٩٨٨)م:

كان قدري جان ونورالدين ظاظا في مقدمة كتاب القصة في مجلة "هاوار" وكانا أيضاً رائدين في تجديد الحبكة القصصية الكردية وإخراجها في الصورة الفنية التي درج عليها كتاب القصة المعاصرون .وهذان الكاتبان الكرديان هاجرا الى سورية لأسباب سياسية من شمال الوطن. جاء قدري جان من جبل "مازي" وجاء نورالدين ظاظا من "مادن". ولكننا نجد أن القصص المنشورة المذيلة باسم قدري جان أكثر عدداً من تلك القصص المنشورة المذيلة باسم نورالدين ظاظا مع اختلاف في مضمون قصص الكاتبين. وعلى الرغم من أن قدري جان كان منهمكاً في السياسة ومنغمساً في غمرة الأحداث اليومية، وعلى الرغم من أن جُل شعره كان حديثاً سياسياً، وعلى الرغم من أن مجلة "هاوار" ومجلة "روزا نو" كانتا زاخرتين بالأعمال الأدبية ذات السمة السياسية. نقول على الرغم من كل هذا وذاك إن قصصه لم تذهب هذا المذهب ولم تتخذ السياسة فحوى أو مضموناً. وكان قدري جان يحاول بكل جهده أن ترفل قصصه في ثياب فنية أنيقة ويسعى إلى الابتعاد عن الأمور السياسية كي لا يجعل قصصه وأدبه قرباناً وضحية للأحداث اليومية.

ولكنه في الوقت نفسه يضِّمنُ قصصه مواضيع جليلة تتعلق بالمجتمع الكردي فيخضعها لريشته ويرسم بها فكرته ضمن مقاييس القصة الحديثة ومعاييرها ويطلع بها على ملأ القراء. وفضلاً عن قصائده الكثيرة وترجمته كتاب (في بلاد الزنابق البيضاء) من تأليف غريغوري بتروف الذي نشره في فصول في مجلة "روزا نو" عام ١٩٤٣م. وكان قد نشر القصص التالية أسماؤها وهي /١٢/ اثنتا عشرة قصة في المجلات الثلاث التي سبق ذكرها: "عند الاستنجاد يكون الغوث" و "الخاتمة" و القرية التي بنيت حديثاً" و"بسركا زيرين= (البصرى الذهبية)" و "بدر الليلة الرابعة عشرة" و "القَسَم" و "الخطيئة" و كلاب الزوزان (المصايف)" و خاتم سليمان" و"كولجين" و "صيد الخنازير" والثعلب الماكر."

كانت بعض القصص في البداية شديدة الإيجاز، ولم تكن تمتلك الشيء الكثير من مقومات القصة الحقيقية إلا أنها كانت مكتوبة بلغة أدبية رفيعة ومسبوكة في قالب فني. ولكن معظم قصص قدري جان كتبت بأسلوب أدبي رائع ولغة فصحى، ونراه مسيطراً على المضمون الذي يريد أن ينقله إلى أذهاننا، فهو يسرد معانيه بكل رويّة وأناة وتدبّرٍ غير متعجل أو متسرع، ويمضي في وصف شخصياته المختارة بدقة وينجح في تصورها تصويراً باهراً.. إنه يعيش الحاضر ولكنه يفكر في الأيام القابلة وينتظر الغد بشوق، إنه يربط الأمس بالغد.

كان قدري جان من ضحايا التهجير والنزوح القسري فانطبعت آثار هذا النزوح في صميم فؤاده، وتسربت إلى أعماق روحه وتشرّبتْ بها نفسه ثم انتقلت هذه الحالة النفسية إلى قصصه وكتاباته والقارئ المتمعن يلمس تلك الحالة في قصصه ويراها رأي العين بوضوح وجلاء. إنه في أحيان كثيرة يستخدم أسلوب العودة إلى الوراء، إنه يمضي إلى الزمن الغابر بعد أن ينعتق من الزمن الراهن، يذهب إلى عهد الطفولة، ويزور مرابعها ثم يبتكر موضوعاً من حادثة قديمة أو يستنبطه من بعض الذكريات وعلى حين غرة يثوب إلى نفسه ويعود إلى حاضره. ان كل قصة من قصص قدري فلذة من روحه وقطعة من جسده وصورة من صور حياته وصفحة من صفحات كتابها المتهرئ. إن قدري جان الممزق الأوصال، هذا الرجل المبدد المتبعثر على دروب التهجير يحاول من وراء الكتابة عن أشلاء حياته وأوصالها الممزقة أن يلم شملها ويجمع بين أجزائها ويعيدها إلى سابق تركيبها، ويسترجع تلك الصفحات الملونة التي انفصلت عن كتاب حياته.

يقول في مستهل حديثه في قصته (الخاتمة) المنشورة في مجلة (روزا نو) الصادرة بتاريخ ١٩٤٣/٤/١٤م ما ترجمه:

إن المرء عندما يكون مستاءً من واقعه أو متبرماً به، ومتطلعاً إلى المستقبل بعين مفعمة باليأس والإخفاق فإنه لا يجد مندوحة من اللجوء إلى الماضي و استجلاب الأيام الخالية مثل أولئك

المسنين الذين لا يتمنون الموت ولا يرغبون فيه، ولا يجدون حيلة سوى تأمل أيام الصبا واستحضار أوقات الطفولة السعيدة التي فرت منهم منذ عهد بعيد فهم يجدون في ذلك متعه وبهجة وراحة بال. أنا أيضاً غدوت فتى هرماً.. أرنو إلى الأيام حيث الوهم والسراب.. وأحدّق في ما حولي حيث الضباب والدخان.. أجل لقد أصبحت مثل أولئك الهرمين الواهنين وأصنع مثل صنيعهم، وأتذكر أيامي الغابرة ولا سيما أيام طفولتي فأترع قلبي بألف حسرة وحسرة فيخيّل إليّ اني قد ظفرت بلذة روحية.. واليومَ أعمد إلى جمع شتات تلك الأوراق التي انفصلت عن كتاب حياتي وتمزقت وصارت بدداً، فأَضمُ بعضها إلى البعض الآخر كي يتألف منها سِفْرٌ للسعادة. إن قصص القَسَم والخطيئة والأيام العابرة و الخاتمة كل منها صفحة زاهية في كتاب حياتي البائسة.. إنها تزهر، وتزهو، وتنتعش.. ولكنها تظل أوراقاً متهرئة بالية... إنّ قصة الخاتمة ورقة من تلك الأوراق "كان ذلك قبل خمسة وعشرين عاماً..." يستعيد قدري جان ذكرياته في قصصه ذات العناوين التالية: "القسم"و "الخطيئة" و "الأيام الغابرة" ويشرع في سرد الأحداث كما في قصة "الخاتمة" التي يعود فيها إلى أيام طفولته ويوثقها بيومه الراهن .وحين ينتهي القارئ من هذه القصص يدرك أن كاتبها قد أحسن في اختيار مواضيعه بعد دراسة دقيقة وتمحيص عميق ليحقق عملاً فنياً رائعاً.

وفي مواضيع نور الدين ظاظا القصصية نعثر على آثار واضحة من الحنين الدائم والشوق المفرط إلى الوطن ونيران الإحساس بالغربة والتذكر المستمر إلى الماضي. وهذه الأحاسيس هي الأمور المسيطرة على أجواء قصصه.

إن جميع قصص نور الدين ظاظا باستثناء أعماله الرومانسية، تلهج دائماً بالوطن وأوضاعه السياسية، وهي زاخرة بالأحاسيس والعواطف الوطنية، وتزدحم بالوصايا لبني قومه ومواعظه ودروسه التوجيهية والتعليمية وله أسلوب عذب وكلمات سلسلة.... يجيد الوصف وصوره البلاغية مفعمة بالأصالة والحيوية والمتانة.

جنوب كردستان والقصة الكردية

ينقل إلينا فرهاد شاكلي حسب مصدره الذي أخذه من حسين عارف أن أول قصة صورانية طبعت ونشرت عام ١٩٢٥م وهي تحمل العنوان:"le xew ma" من وضع وتأليف جميل صائب ١٨٨٧-١٩٥١م. وكان قد نشرها على صفحات مجلتي "jiyanawa" و"jiyan" مجزأة إلى /٢٣/ثلاثة وعشرين جزءاً.

ولكن القصة الكردية في جنوب الوطن لم تقترب من حدود الكمال إلا بعد صدور مجلة "كلاويز"١٩٣٩-١٩٤٩م بشكل خاص. ومجلات أخرى بشكل عام. ففي مجلة "كلاويز" نشرت قصص كثيرة كردية، وأخرى مترجمة من لغات أجنبية.

وبعبارة أخرى فإن الأعباء التي حملها مجلات "هاوار" و "روناهي" و "روزا نو" لتحسين وجه القصة الكردية وتطوير أدائها، والرقي بالأدب الكردي بصورة عامة باللهجة "الكرمانجية" كذلك حملت مجلة "كلاويز" هذه الأعباء أو هذه الرسالة للسموّ بفن القصة في جنوب الوطن باللهجة "الصورانية". هذه المجلة التي دام صدورها عشرة أعوام منذ عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٩م حيث كفت عن الصدور، التي كان يشرف عليها علاء الدين سجادي. وكانت قصص لعلاء الدين سجادي وإبراهيم أحمد تظهر على صفحاتها بين حين وآخر

حسب المصدر الذي اعتمده: فرهاد شاكلي في كتابه: "فنّية القصة الكردية الحديثة" المقتبس عن حسين عارف، وفي غضون مدة صدور مجلة "كلاويز" نُشِر على صفحاتها /١١٤/مائة وأربع عشرة قصة. من هذه القصص الـ/١١٤/المائة والأربع عشرة قصة /٨٢/اثنتان وثمانون قصة مترجمة، واثنتان وثلاثون/٣٢/منها كتبت بأقلام أدباء كُرد متخصصين في كتابة القصة.

قلنا عندما يجري ذكر كتُاب القصة يتبادر إلى الأذهان في الحال اسم: قدري جان ونورالدين ظاظا ونقصد انه عندما يُذكر اسم الكتُاب الذين نشروا قصصهم في مجلة "هاوار" وكذلك تكون الحال عند ذكر كتُاب القصة في مجلة "كلاويز" فيتبادر إلى الذهن في الحال اسم إبراهيم أحمد وعلاء الدين سجادي ١٩١٥-١٩٤٨م و شاكر فتاح ١٩١٤-١٩٨٨م وقد اخترنا من كتاب القصة في هذه المجلة علاء الدين سجادي وقصته المدونة في الأصل بلهجة كُرد الجنوب ثم منقولة إلى اللهجة الكردية في الشمال الكردستاني لتكون نموذجاً يُستشهد به من باب الحوار ألاستئناسي الذي يُعرف بعنوان "لأجل المرأة".

عندما انتهى أمر مجلة "هاوار" ولم تعد الى الصدور خمد الأدب وخيم صمتٌ عميق على قضايا اللغة، وقد نستطيع القول بأن هذا الصمت استمر حتى عام ١٩٨٥م. ولكن مجلة "كلاويز" عندما توقفت عن الصدور لم يُصب الأدب الكردي بنكسة ولم

ينقطع عن أداء رسالته وظل مستمراً في عطائه لأن اللغة الكردية في العراق لم يكن تداولها محظوراً كما كانت الحال في تركيا. لا ننكر أنّ صدام أضطهد الكُرد بوحشية وحاول الانتقام منهم بشتى الوسائل وإبادتهم، ولكنه لم يمنعهم من التحدث أو الكتابة بلغتهم، وعلاوة على ذلك كانت في مدينة بغداد كلية أدبية لدراسة الأدب الكردي في جامعة "الوزيرية". وآية ذلك أن أسماء جديدة ظهرت في مجال القصة بعد فترة قصيرة من غياب مجلة "كلاويز". ولئن كان حضور هؤلاء الكتاب في ميادين الأدب على فترات ومراحل متفاوتة ولكنهم فقد استطاعوا إضافة شيء جديد إلى أدب له أسسه وجذوره.

شرق كردستان والقصة الكردية

لم استطع الحصول على أسماء كثيرة لكتُاب القصة في شرق كردستان لذلك لن استطع الإفاضة في التحدث عن شؤون الأدب أو مسائل القصة في هذا الجزء من الوطن. لكننا نعلم أن صحفاً ومجلات صدرت في عهد جمهورية "مهاباد" إلا أنّ الأمد لم يطل بها كما لم يطل الزمن بالجمهورية نفسها، هذه الجمهورية التي تم تشييدها عام ١٩٤٦م. وفي هذه الحقبة اشتهر اسم كاتبين في ميدان النثر: حسن قزلجي و رحيم قاضي ١٩٢٥-١٩٩١م.

وكان هذان الكاتبان الكرديان ضليعين من الكتابة النثرية، وصاروا فيما بعد مصدر إلهام وطموح وثقة بالنفس لأولئك الكتاب الذين أتوا من بعدهم فتعلموا منهم ونبغوا في هذا الفن، وتطاولوا في بنائه.

يقول "هيمن موكرياني" بعد أن يصف "حسن قزلجي" ويمدحه ويذكر مناقب أسرته، متحدثاً عن قصصه كالتالي: إن أبطال قصص حسن قزلجي وشخصياتها مألوفة جداً لدى القارئ الكردي ولا ينكر منها شيئاً، فهو ينتقي شخصياته من المجتمع الكردي ويصطفيها من المكانة الشعبية ومن وسط الشعب "الطبقة العامة" ومن الطبقة الخاصة وسائر الفئات الأخرى التي تشتمل عليها المجتمعات الكردية ويصفها وصفاً دقيقاً شافياً بلغة

سهلة ومبسطة جداً، لا تلتوي على فهم القارئ مهما كان حظه من العلم والمعرفة قليلاً وضئيلاً.

إن القارئ يدرك بيسر وسهولة كم كانت عظيمة تلك الدرجة من العلم والمعرفة وسبر أغوار النفس الإنسانية التي وصل إليها الأستاذ قزلجي، وكيف استطاع الولوج في أعماق أرواح أبطال قصصه ودخول سويداء قلوبهم، وعرف أسرارهم وخفايا نفوسهم ونوازعهم.

والقارئ يجد في هذه القصص القصيرة نماذج متضاربة من الشخصيات وسلوكهم ومسيرة حياتهم... فربما كانت إحدى الشخصيات رجل دين وصاحب طريقة صوفية أو حمالاً بائساً أو فلاحاً كادحاً... أو مرابياً جشعاً أو امرأة شقية وقع عليها الضيم من كل جانب... أو جاسوساً يخون وطنه الى آخر ما في المجتمع من الناس.

ورواية رحيم قاضي "البشمركة" نموذج من نماذج الرواية في كردستان في مستهل عهد كتابة القصة والرواية في شرق كردستان. وهذه الرواية ظهرت ضمن منشورات "العهد الجديد" أول وهلة في "يريفان" عام ١٩٦٠م وفي بغداد عام ١٩٦٢م وفي السويد عام ١٩٧٧م. وعن رواية "البشمركة" يتحدث عزالدين مصطفى رسول بشيء من الإيجاز: "البشمركة" قصة طويلة.. إنها تندرج في رياض الأدب الفواحة بأريجها الزكي وشذى ورودها التي أينعت في حدائق الأدب الكردي. إنها انجاز

هائل في عالم القصة.. أو هي ملحمة من طراز جديد وفي زي جديد تتحدث بطريقة شاعرية عن أبطال وصناديد ظهروا بين الشعب الكردي.

"نحن نعلم أن في شرق كردستان أسماء كتاب آخرين في النثر سوى هذين الأسمين، والتعريف بأصحابها يفتقر إلى بحث خاص ومستفيض.

إننا نجدُ في الغالب الأعم أن الكتابة النثرية في شرق كردستان و جنوب كردستان كانت مدونة بلغة "الجنوب" في البداية، ثم جاءت الكتابة من بعدها بلغة "الشمال" وأحد أولئك الكتاب هو "برويز جيهاني" الذي نعرفه من مجلة "سروه". ولكنه بعد هجرته الى أوروبا اشتهر بكتابة القصة والرواية وذاع صيته.

شمال كردستان والحركة الأدبية في السبعينات ومنشوراتها

اذا أسقطنا من حسابنا الصحف والمجلات التي أصدرها "موسى عنتر" مثل: "جانب يلدرم" و "أديب كاراهان": "يني شرق بوستاسي" و "إلر يورت" و دجلة-فرات١٩٦٢-١٩٦٣م بعد تأسيس الجمهورية. فقد كان صمت عميق يطغى على البلاد وتكبّل اللغة الكردية بالأصفاد والأغلال وتحظر بكل الوسائل. وعلى الرغم من أن هذه الصحف والمجلات كانت تتسم بالصبغة السياسية فإنّ صفحاتها لم تكن تخلو بين حين وآخر من كتابات

باللغة الكردية، حتى أن أديب كاراهان كان ينشر في مجلته "دجلة- فرات" قصصاً من تأليفه.

كانت القصص التي ينشرها "كاراهان" محبوكة باللغة التركية ولكنه كان يطعمها بمفردات من اللغة الكردية بطريقة ذكية أو كان يضمنها أغنية كردية على سبيل المثال. وكان "كاراهان" مثل غيره من كتاب تلك الحقبة- نظراً لندرة الكتاب، يذيّل قصصه بأسماء مستعارة يختفي وراءها. ولم يكتب "كاراهان" سوى قصة واحدة باللغة الكردية خالية من الكلام التركي والمفردات التركية "حيدو وفرحو".

لأسباب سياسية محضة كانت حدود محكمة ومتينة وضعت بين الكُرد للفصل بينهم، ومن بين هذه الحدود الأحرف الأبجدية التي كانت تفصل بين ثقافاتهم فكان الكُرد في شمال البلاد في الخمسينات والستينات، والأكراد السوفيت في السبعينات بأفكارهم الجديدة والأكراد في الجنوب في عهد مجلة "هاوار" يعيشون في عزلة مع حركاتهم التي لا رابط بينها، لا يدري هؤلاء شيئاً من أمور أولئك وكانت العزلة تامة ومطبقة. وكانت بعض الحركات الكردية الأدبية، والثقافية تظهر في شمال كردستان كحركات سياسية. لقد كانت تلك الحركات احتجاجاً على الظلم والاضطهاد وتفنيداً للهيمنة التركية وسلطتها الجائرة واعتراضاً على تقييد الحريات، وكانت تلك الحركات مغلفة

بالفكر اليساري. بعد إعلان الجمهورية التركية أصبح لدى الكُرد للمرة الأولى هذا القدر من الصحف والمجلات.

كانت أهداف جميع المجلات والصحف في السبعينات واحدة تجمعها السياسة مثل تلك الصحف والمجلات التي كانت تصدر في الخمسينات والستينات وتسير على نهج سياسي، وكانت تلك السياسة تُمارس وتُنفذ باللغة التركية. وفي الحقيقة كانت مزاولة السياسة باللغة الكردية لا تُباح بأيّ شكل من الأشكال، بل لم يكن لها وجود أصلاً، وكانت اللغة الكردية محظورة.. وكان جزاء ارتكاب هذا المحظور قاسياً وشديداً. عندما اقتربت الصحف والمجلات التي كانت تصدر باللغة التركية من أعوام الثمانينات بدأت تفسح مجالاً للكتابة باللغة الكردية وكان جُلّ ما ينشر شعراً وقصائد.

في عام ١٩٧٩م عندما بدأ صدور مجلة "تيريز"، كانت القصائد والأعمال الشعرية تنشر فيها بكثافة ولكنها لم تهمل الجوانب والفروع الأخرى من الأدب. وكانت هذه المجلة تنشر على صفحاتها كتاباتٍ باللهجة الزازية الى جانب اللهجة الكرمانجية، وفي هذه الكتابات ربما وجدت بعض القصص. إن قصائد "روزن بارناس" التي كانت تنشر مذيّلة باسم مستعار: "فليت توتاني" اخترقت جدار الصمت في عالم الشعر، كما اخترقت قصصه صمتاً آخر في مجال القصة. كان"بارناس" يقتفي آثار مجلة "هاوار" ويقتدي بها. كان "بارناس" يكتب بلغة

رصينة زاهية عن أحوال البلاد والأوضاع الاجتماعية وعن السياسة وكتب عن السلوك الإنساني والمؤثرات النفسية لدى الأشخاص، وجعل كل ذلك نصب الأعين. لقد كان بالأحرى كان كاتباً حضارياً مدنياً. وفي العام نفسه صدر كتاب محمد أمين بوزأرسلان تحت عنوان "ميروMeyro " عام ١٩٧٩م. أما محمد أمين بوزأرسلان فهو يستمد شخوصه ومؤثرات قصصه من حياة أهل الريف والقرويين، وفي قصصه يتحدث عن عاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم، وفي ظلال حياتهم يتحدث أيضاً عن مشاعرهم والرعب الذي يدخل قلوبهم من بطش الجنود الأتراك. ولم يكد يصدر كتاب بوزارسلان وكذا مجلة "تيريز" ويوزعان على القراء حتى تولى العسكريون السلطة في البلاد ووضعت اليد على مصادر الإعلام فلم يصل هذا العمل الأدبي الذي أبدعه بوزارسلان ولا مجلة "تيريز" إلى أفراد الشعب لقراءتهما ووئدا وهما ما يزالان في المهد، وأزيلا من الوجود.

من الواضح إن ما جرى ربما كان مأساة، ولكن الانقلاب العسكري الذي أخذ بزمام الأمور في الدولة كان له فضل لا ينكر في تطوير اللغة الكردية وتنشيط الحركة الأدبية الكردية المعاصرة والنشاط الثقافي الحديث لأن هذا الانقلاب العسكري أو هذه الطامة التي وقعت على رؤوس الناس وضيقت عليهم الخناق وسلب كثيراً من حرياتهم زجت الآلاف من المواطنين الأتراك والأكراد في السجون، أولئك الذين كان لهم دور فعال في السياسة، أما أولئك الذين فروّا بجلودهم ونجوا من همجية

العسكريين استقروا في أرجاء من أوروبا فقد تابعوا هناك أعمالهم التي لم ينتهوا من انجازها واستأنفوا نشاطهم، واستطاعوا أن يهذّبوا اللغة ويطوروا الكتابات الأدبية ويدفعوا بها إلى مرتبة رفيعة ومكانة سامية. عن طريق إنشاء الجمعيات والمؤسسات التعاونية والمعاهد الثقافية. وعن طريق الصحف والمجلات التي كانت تصدرها مثل: "بربانك=الفجر" و "هيفي=الأمل" و "كوردستان بريس=صحافة كردستان" و "روزا نو =اليوم الجديد" و "آرمانج= الهدف" و "روشن= الإشراق" ومنشورات أخرى ظهرت قصص كردية على صفحاتها.

كانت كتابة القصة الكردية –في السابق- كتابة متواضعة تنشر في زاوية من مجلة أو صحيفة في خجل واستحياء، ثم أنها في غضون عشرين عاماً صقلت، وصارت لها هوية خاصة وشخصية مستقلة. وفي هذه الأيام بين أيدينا كتب تضم القصة، إن لم تعد بالمئات فإنها تعد بالعشرات.

ومن جهة أخرى عندما تترجم أعمال من القصص العالمي إلى اللغة الكردية تنفتح أمام القصة الكردية أبواب جديدة، وتكتسب اللغة اصطلاحات جديدة وسلاسة في التعبير وغزارة في المعاني، سواء أكانت هذه الترجمة قصة من هنا وهناك أو مقتطفات من القصص أو كتباً بأكملها. لقد بدأت تجربة الترجمة إلى الكردية منذ أكثر من مائة وخمسين عاماً ولكنها كانت تسير

سيراً وئيداً، وبطيئاً. وكانت في أحيان كثيرة تكبو وتسقط، ومع كل ذلك نستطيع القول ونحن مطمئنون أن القصة الكردية بخير وكل الإرهاصات والمقدمات تبشر بذلك.

الكُرد في الاتحاد السوفيتي "سابقاً"

إن كُرد الاتحاد السوفيتي "سابقاً"، بل كرد قفقاسيا، أو أولئك الكُرد الذين نزحوا من ديارهم فراراً من بطش (روما) السوداء حسب تعبيرهم، إلى أرمينيا ولاذوا بسفوح جبل آكري واستقروا هناك، وبعد الحرب الكونية الأولى، وبعد الثورة البلشفية ظلوا ضمن حدود الاتحاد السوفيتي "سابقاً" واستتب بهم المقام. ومهما كان عدد الكرد المسلمين بين هؤلاء النازحين فإن اليزيديين كانوا أكثر عدداً منهم وقد تعرضوا للتقتيل والذبح مع الأرمن الذين تعرضوا للإبادة الجماعية. بَيْدَ أنه بعد أن حققت الثورة نجاحها، نالت جمهوريات سوفيتية وأقوام حرياتها وحقوقها القومية ومن بينهم الكُرد المقيمون على هذه الأرض فصار بوسعهم أن يكتبوا وينشروا بلغتهم ويصدروا الصحف والمجلات والكتب. وأول عمل ثقافي قاموا به هو إصدار صحيفة "ريا تزه= الطريق الجديد". وفي أرمينيا السوفيتية أحدثوا داراً للإذاعة تبث برامجها باللغة الكردية. وشرعوا يكتبون القصائد ويؤلفون القصص والروايات والمسرحيات. ومع أنهم كانوا منقطعين عن كردستان الكبرى، ولا تربطهم أية وشائج بالأكراد خارج الاتحاد السوفيتي، فقد استطاعوا الاصطلاح على لغة مثالية تكون أساساً في الفنون الأدبية، وفي الوقت الذي كان الكُرد في تركيا يتعرضون للقمع والاضطهاد وهضم الحقوق واستلاب حرياتهم

كان الكُرد في الاتحاد السوفيتي يمارسون جميع صنوف الأدب وينهلون الثقافة من كل ينابيعها ويرسخون بنيانها. وكان لأكراد الاتحاد السوفيتي اهتمام بالغ بالأدب الكردي (الفولكلور) الشفهي، فجمعوا منه الشيء الكثير، وقطفوا الثمار من جميع أغصان الأدب وفروع دوحته الشاهقة، ونشروا كل ما وقع بين أيديهم من القصص وسواها. وكانت القصة القصيرة الفنية قد سبق لها أن كُتبت ونُشرتْ بصفتها فرعاً من فروع الأدب. ولا نشك أن هناك أدباء وكتاباً غير الذين ذكرناهم في هذا البحث ولكننا –وأسفاه- لم نفلح في الحصول على أعمالهم لقراءتها وتقييمها. وقد عرفنا من عباقرة كتاب الأدب الكردي في الاتحاد السوفيتي. توسين رشيد وتيمور خليل و وزير إشو. وسواء وُجِد غير هؤلاء أو لم يوجدوا بين كتاب القصة فإن أعمالهم التي وقعت بين أيدينا وافية بالمرام فهي تقدم لنا صورة واضحة عن واقع القصة الكردية في الاتحاد السوفيتي. والجدير بالذكر أنه إذا جرى الحديث عن كتاب القصة هناك قفز إلى الأذهان اسم "عرب شمو" وروايته "شفاني كورد= الراعي الكردي"[٣].

لقد كتب أولئك الأدباء في جميع الشؤون من إنسانية واجتماعية وسياسية وأدبية وكتبوا عن أحوال المجتمعات الكردية وعن العادات والأعراف. وقصارى القول فإن هؤلاء الكتاب والأدباء لم يتركوا شاردة أو واردة. ولم يدعوا باباً دون أن

[٣] -ترجمها الى العربية: الشيخ توفيق الحسيني.

يطرقوه وصنعوا لأنفسهم أدباً خاصاً اندمج بالأدب السوفيتي وغدا جزءاً منه. وما دمنا بصدد الحديث عن كتاب القصة الكُرد السوفييت فإنه يحُسن بنا أن نزجي أسماء من عرفناهم حسب تسلسل حروف الألفباء الكردية.

بابا كلش١٩٤٧م، و علي عبدالرحمن١٩٢٠م، وأمريك سردار١٩٣٥م، وعرب شمو١٨٩٧-١٩٧٨م، وعسكر بوييك١٩٤١م، ورضا رشيد١٩٢٩م، وسيما سمند١٩٣٣م، وتيمور خليل ١٩٤٩م، وشمسي١٩٣٣-٢٠٠٢م، وتوسين رشيد ١٩٤١م، و وزير إشو١٩٣٤م، وخليل جان ١٩٢٤م.

الكماليون وأحوال اللغة الكردية

مهما كانت أحوال اللغة الكردية- في عهد السلطة العثمانية- متباينة ومختلفة عن أوضاعها في مرحلة ما بعد الدولة العثمانية. ومع أنها في العهد العثماني لم تكن بشكل عام لغة تعليم في المناهج المدرسية، ولم تكن لغة ثقافة وعلوم، ولم تكن لغة تجارة أو دبلوماسية ومداولات سياسية أو لغة قانون وتشريع، فإنها لم تكن مكبلة وأسيرة ومقيدة كما كانت كذلك في ظل الجمهورية التركية التي حلت محل الدولة العثمانية التي وجدت فيها أحياناً مدارس أهلية يجري فيها التعليم باللغة الكردية، وما تزال بين أيدينا حتى الآن بعض تلك الكتب المقررة في تلك المدارس الكردية. بيد أنه بعد أن وضعت الحرب الكونية الأولى أوزارها ونهضت الجمهورية التركية على قدميها سعى حزب الكماليين الواحد المهيمن على مقادير الدولة ومقاليدها إلى إغلاق المدارس والقضاء على التراث العثماني قضاءً مبرماً، وعندئذ بدأت ثورة اللباس "الزي" وحروف الأبجدية "الألفباء". وصار شعار(أمة واحدة وراية واحدة ولغة واحدة) أساساً لترسو وتترسخ عليه قواعد بنيان الجمهورية .

لقد كان "كمال أتاتورك" يسعى جاهداً من وراء الثورة على الزيّ والأبجدية إلى الابتعاد عن الشرق والقرب من أوروبا.

وكان يريد أن تشيّد دولته الجمهورية الفتية وتصاغ صياغة أوروبية ويحيا الناس ويعيشوا كالأوروبيين شكلاً ومضموناً، وأن يبني حضارة حديثة على أنقاض القديم الذي دأب على هدمه كما سولت له أفكاره ونزعاته. حتى الآداب والثقافات القديمة شملتها ثورة "التغيير" التي خرج بها الكماليون على الأمة التركية الواقعة ضمن حدود هذه الدولة.

وهكذا رأينا "أتاتورك" يحاول إهمال الدين والتحيز للدنيوية والفكر العلماني، ويسير بخطوات واسعة وحثيثة لبلوغ الحضارة الأوروبية ومدنيتها.

في مثل هذه الإيديولوجية الضيقة لم تكن القوميات والأفكار واللغات الأخرى تستطيع أن تجد حيزاً أو موطئ قدم لوجودها، وكان من طبيعة هذه الإيديولوجية السياسية أن تغدو اللغة التركية اللغة الرسمية في الدولة وركنا في تأسيسها، وأن تُحارب اللغة الكردية ويحظر التداول بها بكل الصور والأشكال، إلا أن تلك الكتب القديمة المدونة بحروف عربية لم يشملها الحظر ولم تمنع من التداول، إلا أن أبناء الجيل الجديد لم يكونوا يلمون بتلك الخطوط فظلت قابعة على الرفوف بعيدة عن أنظار القراء، وفي هذه الفترة لم تكن الكتب الكردية قد صدرت بالأحرف اللاتينية فبقي هذا الجيل الناشئ نائياً وبعيداً كل البعد عن الأدب الكردي

وما يلحق به من علوم النحو والصرف والبلاغة. ولقد كان من جراء محاولة صهر الكُرد وإذابتهم في القومية التركية أن الكُرد مُنعوا من لغتهم فبذلوا مكرهين ضريبة باهظة "ضريبة الإقصاء عن لغتهم"، ولعلها من أبهظ الضرائب التي تدفعها الشعوب في مسيرة حياتها.

وفي الوقت الذي كانت تنتعش فيه اللغة التركية وتجري دماء جديدة في شراييها، وتتدفق ينابيع أدبها ثرة غزيرة، كان ينبوع اللغة الكردية يشح وينضب، ويضمحل أصحاب القديم الكلاسيكيون وينتهي أمرهم وتحدق بهم العقبات والعراقيل وتمنعهم من العمل في بناء صرح أدبي جديد. وفي هذا الوقت لم يكن متاحاً صدور ونشر صحف ومجلات مثل مجلة "كردستان 1898م" و"روزي كرد ١٩١٣م" و "زين- الحياة"، ومع أن هذه المجلات كانت ذات طابع سياسي وتكتب باللغة الكردية والتركية فقد كانت تهتم اهتماماً كبيراً بالآداب والثقافات الكردية وتولي المجتمع الكردي وعلاقاته وعاداته وتقاليده عناية فائقة.

إلى صديقي الكبير المفكر إسماعيل بشيكجي

أيها المتدثر المتلبس بالطهر والنقاء. أيها المتأنق بكل صنوف الفضائل والمكرمات... أيها المتألق المتربع على الذروة من الإنسانية... أيها الليث الذائد عن حمى البؤساء والمستضعفين.. أيها المفكر الجليل... أيها الصنديد الفدائي العظيم.. أيها المضحي بزهرة شبابك وبأمنك وسلامتك من أجل شعب مغلوب على أمره لا يمت إليك بصلة وليس بينكما وشيجة قربى أو نسب سوى فلك الرابطة التي تشد الإنسان إلى أخيه الإنسان... أيها المضمخ من أخمص قدميك إلى قمة رأسك بكل أطياف الإباء والصمود والشهامة... أيها الرجل الذي لا نظير له بين الرجال... أيها الملاك الشفيق في صورة إنسان... يا حاملاً ذاك العبء الباهظ الذي تنوء بحمله الجبال... كأنك آليت على نفسك أن تشتري للآخرين السعادة وإن كلفك ذلك شقاءك وتجلب لهم الحرية وإن جشّمك ذلك الأسر والسجن في الزنزانات أعواماً عدداً....

إياك أعني... وإياك أقصد يا إسماعيل بشيكجي. أيها المتفاني في دروب الحق والعدالة.. اليوم نأتي إليك بقلوبنا وحناجرنا وعواطفنا وكل اجلالنا لنهتف لك بالنصر ونضع بين يديك حبنا وعزاءنا ومؤاساتنا في يوم محنتيك.. محنة رحيل شقيقك تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه، ومحنة محاكمتك الجائرة في "قصر" لا يحمل من العدالة سوى إسمها...

لقد ضحيت وبذلت ما بذلت وما ألوت في ذلك جهداً لا تريد جزاء ولا شكوراً، وترفض أن يكون عملك مقايضة وترفض أن تكون أريحيتك مقابل ثمن أو ثواب ولك سابقة في رفض جوائز عُرضت عليك، وحين جئتك أحمل إليك جائزة "الأكراد" –جائزة أوصمان صبري- السنيّة الثمينة كنت كثير الهواجس خشية أن ترفضها كما رفضت غيرها وقد صدق حدسي لأنك لم تبادر إلى قبولها إلا بعد حوار طويل ثم اقتنعت بأن هذا القبول ليس إلا دعماً آخر للأكراد ونصرة قضيتهم. فكان ذلك اليوم وتلك اللحظة –لحظة القبول- من اسعد الأيام واللحظات في حياتي.

طوبى لك أيها الرجل المطلق الإنسانية اليوم وغداً وإلى الأبد. إن ضمير الشعب الكردي مفعم بك، تملأ سمع وبصر كل كردي وتقيم في سويداء قلبه وآخر دعوانا أن تدوم لنا ذخراً وسنداً.

صديقك المخلص

دلاور زنكي

بيان تضامني
مع الأستاذ الكبير إسماعيل بشيكجي

لقد كان الثمن الذي دفعه **إسماعيل بشيكجي** من حياته في السجون التركية دفاعاً عن القضية الكردية العادلة، غالياً جداً، بل باهظاً بلغة الأرقام، وهو التركي الأصل والنسب، الوطني والأممي الصلب.

وبسبب بقائه أميناً على العهد الذي نذر حياته من أجله فقد تآمرت وتتآمر عليه القوى الرجعية السوداء في الداخل والخارج. وهاهي تفتعل محاكمة قضائية في يوم الثامن والعشرين من هذا الشهر (تموز ٢٠١٠) بقصد النيل من إرادته الفولاذية التي لا تيلين.

وقد وقف الكُرد في تركيا وإيران وسوريا والعراق، وفي مختلف بلدان العالم صفاً واحداً إلى جانب الحق والعدل والمساواة، أي إلى جانب البطل **إسماعيل بشيكجي** الذي سخّر كل إمكانياته للدفاع عن وجودهم وعن حقوقهم...

وفي المقابل لم يشف غليل الرجعيين الأتراك وغير الأتراك سبعة عشر عاماً قضاها الأستاذ إسماعيل في السجن. ولن تشفي

غليلهم المحاكم والأحكام القاسية الأخرى، لأنهم هم أيضاً على قناعة راسخة بأن الأحكام والسجون مهما طالت، ومهما أظلمت لن تنال من هامته المنتصبة أبد الدهر.

ليتفضل كل من تصله هذه الرسالة بإعلان تضامنه مع المناضل الكبير **إسماعيل بشيكجي**، ولتخسأ محاكم "التفتيش" في العصور الحديثة.

مجموع أصدقاء الدكتور إسماعيل بشيكجي

ملاحظة:

الوقت: ٢٠١٠/٧/٢٨م.

الساعة: ٩،٣٠صباحاً.

المكان: محكمة بشكتاش/استانبول.

البروفيسور جمال نبز
أعماله وحياته

جمال نبز "الكردي جمال نبز" المعروف الذي ذاعت شهرته عالماً لغوياً ولد عام ١٩٣٣م في اليوم الأول من شهر ديسمبر- كانون الأول- في مدينة السليمانية في كردستان الجنوبية.

إلى جانب دراسته في المدارس الحكومية الرسمية كان قد وجد فرصة لدراسة التشريع الإسلامي (علم الشريعة) والفلسفة، والعلوم الدينية "اللاهوت". ودرس الفيزياء والرياضيات في كلية العلوم- لإعداد المدرسين في جامعة بغداد- في غضون منتصف عام ١٩٥٠م. درّس جمال نبز منذ شهر أكتوبر-تشرين الأول- عام ١٩٥٥م حتى عام ١٩٦١م مادتي الفيزياء والرياضيات في المدارس الثانوية. علّم ثلاث سنوات في كردستان العراقية "في كركوك" و "هولير-أربيل" وكذلك ثلاث سنوات في مدينتي "البصرة" و "بغداد". وفي صيف عام ١٩٥٦م سافر جمال نبز إلى سوريا ولبنان حيث التقى ببعض المفكرين والشعراء والأدباء والكتاب الأكراد، وبجهودهم المتضافرة عملوا وأصدروا أعمالاً باللهجة الكردية "الكرمانجية". وفي صيف عام ١٩٥٧م زار كردستان الإيرانية، وزار مدينة طهران. في "كرمنشاه" واجتمع بكتاب آخرين بينهم الكاتب الكردي فاتح-عالي حيدري وفي "سنه" "سنناداج" اجتمع بالأديب والكاتب الكردي الشهير آية الله

"محمد مردوخي-كردستاني" (١٨٨٥م-١٩٧٥) وتعاهدا على خدمة اللغة الكردية وآدابها.

في عام ١٩٦٢م هاجر إلى أوروبا لاستكمال ومتابعة دراساته وبحوثه في علم أصول التعليم والتدريس، والإسلامية والإيرانية، واتصل وارتبط بجامعات "ميونيخ" و "ورزبيرغ" في أعوام ١٩٦٣م-١٩٦٦م وبجامعة "هامبورغ" في أعوام ١٩٦٧م-١٩٧٠م. وكذلك درس علوم السياسة والصحافة والقانون "الحقوق" في جامعة برلين "الحرة" في عام ١٩٧٠م حتى عام ١٩٧٩م.

في عام ١٩٦٥م وهو ما يزال طالباً في جامعة "ميونخ" ساهم في تأسيس "الاتحاد القومي للطلاب الأكراد" في أوروبا (NUKSE) مع زميليه الطالبين الصديقين: بروسك إبراهيم ولطيف علي. وفي عام ١٩٨٥م شارك بعض المهاجرين من كردستان من أكاديميين وأدباء وعلماء وفنانين في ترسيخ قواعد لأكاديمية للعلوم والفنون في السويد "ستوكهولم".

في السبعينيات، في مستهل عام ١٩٨٠م تولى جمال نبز المهام والوظائف التالية:

١- محاضراً عام ١٩٧١م-١٩٧٢م في جامعة برلين الحرة، كلية: علم الأجناس والأعراف الإنسانية.

٢- وفي أعوام ١٩٧١م-١٩٧٨م محاضراً في اللغات الإيرانية في جامعة برلين الحرة قسم اللغات الإيرانية.

٣- وفي أعوام ١٩٧١م-١٩٧٦م وظيفة علمية في حقل "الاستشراق" في "المؤسسة الألمانية للبحوث".

٤- وفي أعوام ١٩٧٨م-١٩٨٢م وظيفة "أستاذ مساعد" في تدريس اللغات الفارسية والإيرانية وسواها.

٥-وفي أعوام ١٩٧٨م-١٩٨٣م وظيفة مفتش ومراقب للمترجمين من اللغة الفارسية في معهد برلين (Staatliches Institut für Dolmetscher und Übersetzer)، ومراقباً ومدققاً للمترجمين من اللغة الكردية في برلين "مؤسسة بافاريا للعلوم والثقافة والأدب.

الأعمال:

كتب جمال نبز عدة مقالات نشرها في الصحف العربية في بغداد تهتم بالشؤون السياسية والاجتماعية والحقوق الإنسانية للأكراد.

نشرت إحدى هذه المقالات في صحيفة "صوت الأهالي" في ربيع عام ١٩٥٤م نقد فيها التصريح الذي أدلى به الرئيس التركي السابق جلال بيار في أثناء إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية في المقابلة الصحفية التي أجريت معه. وكان جلال

بيار قد أنكر في تصريحه أن يكون أي وجود في تركيا لسوى الشعب التركي. وفي خلال العامين اللذين أمضاهما في التعليم في مدارس "كركوك" ابتدع أساساً لأول كتاب في الفيزياء والرياضيات باللغة الكردية. وفي عام ١٩٥٦م أعد مخطوطاً في الجبر، وفي عام ١٩٦٠م أفلح في إصدار أول كتاب في الفيزياء باللغة الكردية تحت عنوان "مقدمة في الميكانيك وخواص المادة" يتضمن جدولاً إيضاحياً لمفردات اللغة الكردية في الفيزياء والرياضيات. وفي غضون إقامته في دمشق نجح في تدوين "كرّاسة" باللغة العربية عن حركة التحرر الكردية وأهدافها في عام ١٩٥٧م. وفي العام نفسه أصدر كتاباً آخر بعنوان "الكردية في الخط اللاتيني" في بغداد. وكان قد نشر عدة كتب عن اللغة الكردية، وترجم كذلك بعض الأعمال الأدبية ونقلها إلى اللغة الكردية من هذه الأعمال: أعمال شكسبير وغوغول.

جدول بالكتب التي ألفها:

١-ترجمة كتاب: "The Tempest"-العاصفة، للشاعر شكسبير إلى اللغة الكردية في بغداد عام ١٩٥٥م.

٢-رواية "Lalo Kerîm"- العم كريم رواية موضوعة باللغة الكردية، نشرت عام ١٩٥٦م في "هولير-اربيل" أعيد طبعها في ستوكهولم عام ١٩٨٦م.

٣-كتاب "Xwêndewarî be Zimanî Kurdî"-التعليم الابتدائي للغة الكردية، باللغة الكردية في المسائل المدرسية والتعليم وسبل حلها. طبع أول مرة في بغداد عام ١٩٥٧م. وأعيد طبعه عام ١٩٨٧م.

٤-كتاب "Nusînî Kurdî be Latînî" كتاب اللغة الكردية بالأبجدية اللاتينية من مطبوعات "مطبعة المعارف" في بغداد عام ١٩٥٧م.

٥-كتاب "Wergêran Hunere" –الترجمة فن، نشر في السليمانية عام ١٩٥٨م من اصدار مطبعة زين- Jîn.

٦-رواية "Palto" –"المعطف" للكاتب السوفياتي نيكولاي غوغول، ترجمة عن العربية والانكليزية، صدرت في بغداد عام ١٩٥٨م.

٧-كتاب "Seretay Mîkanîk û Xomalekanî Made"- مقدمة في الميكانيك وخصائص المادة. بغداد ١٩٦٠م.

٨-كتاب " Kurdische Schriftsprache. Eine chrestomathie moderner Texte, Hamburg, Buske Verlag,1969." اللغة الكردية المدونة. مجموعة نصوص حديثة، من اصدار هامبورغ:"Buske"،١٩٦٩م.

٩-كتاب "Sprichwörter und Redensarten aus Kurdistan", أمثلة وأقوال من كردستان. من منشورات الاتحاد القومي الكردي للطلاب في أوروبا. صدر عام ١٩٧٠م، في ميونيخ.

١٠-كتاب " Der Kurdische Fürst Mir-i Kora (Rawandizi) im Spiegel der Morgenländischen und Abendländischen Quellen," الأمير الكردي الرواندزي. كتابات في التاريخ الكردي-هامبورغ عام ١٩٧٠م، نقلها إلى العربية: فخري سالاشور. إصدار أكاديمية العلم والفن في ستوكهولم عام ١٩٧٢م. ثم صدر في هولير-اربيل عام ١٩٩٤م.

١١-"Kurdische Märchen und Volkserzählungen", قصص كردية عن الحوريات وقصص شعبية "فولكلورية". اصدار الاتحاد القومي للطلاب الكُرد في أوروبا، عام ١٩٧٢م.

١٢-كتاب "Zimanî Yekgirtûy Kurdî" السعي إلى لغة كردية موحدة. اصدار اتحاد الطلبة الكُرد في أوروبا عام ١٩٧٦م في ألمانيا. أعيد طبعه في مهاباد عام ١٩٧٩م. أصدرته دار سيديان للنشر والطباعة.

١٣- كتاب " Hendêk le Kêşe Binretêkanî Qutabxaney Kurdî Sosyalîzm" بحوث في جوهرية عن مدرسة المجتمع الكردي. صدر في ستوكهولم عام ١٩٨٤م، ثم أعيد طبعه في هولير عام ٢٠٠١م.

١٤- كتاب " Govarî Komonistawey 'Yekêtîy Têkoşîn' (1944-1945) û Îdyolojîy Xurdeborjuway Marksistî Kurd," الصحافة الكردية الشوعية "الوحدة النضالية"، في عام ١٩٤٤-١٩٤٥م وأيديولوجية البرجوازية الكردية الماركسية الصغيرة. إصدار الأكاديمية الكردية للعلم والفن في ستوكهولم عام ١٩٨٨م.

١٥- كتاب "Rojanî Awareyîm le Swêsre," منفاي في سويسرا. يتحدث فيه الكاتب عن أيام إقامته في "جنيف" عام ١٩٦٢م، صدر في السليمانية عام ١٩٩٩م. نشرته مؤسسة كلاويز للفكر والأدب.

يوسف ملك

علم من أعلام الفكر والسياسة الكلدوآشوري

(١٨٩٩-١٩٥٩م)

أن يحب المرء وطنه وشعبه، ويسعى في سبيل أمن بلاده ورخاء شعبه ورفاهيته ويذود عن حمى أرضه فتلك أمور بدهية لا غرابة فيها وليست بدعة من البدع. إنها فطرة في كل إنسان سويّ. وسجية من سجاياه أن يملأ عشق الوطن وحب الأهل قلبه وينعما فكره وإحساسه، وقد يطغى هذا العشق ويتفاقم هذا الحب فلا يبقى في نفسه ومجمل كيانه تعلّقٌ بغير قومه وأرضه وكل ما يمتُّ إليهما بصلة. ولكننا قد نعثر على سيرة إنسان في سفر من الأسفار أو نسمع باسم رجل اتسع قلبه ورَحُبَتْ نفسه فأحب البشرية جمعاء وحمل هموم الإنسانية فنافح عن البؤساء وكافح عن المضطهدين، وجاهد ودافع عن الحقوق المهضومة وانتصر للشعوب الرازحة تحت نير الطغاة الغاشمين. من هؤلاء العظماء الذين قلما تجود بمثلهم الأيام المفكر والسياسي الفذّ "يوسف ملك" الآشوري الكلداني الذي وصفه أحد الكتاب بقوله: "المناضل القومي والمدافع الحر، المستميت في الدفاع عن أبناء جلدته وحقوق جميع المظلومين... ليث بابل ونسر آشور ابن تلكيف البار". لقد كان هذا الرجل العظيم يحامي عن الشعب الكردي ويدافع عن حقوقه وينتصر له بقلمه الذي ينضح جرأة وبسالة ويكتب عشرات المقالات على صفحات الجرائد والمجلات ونبّوه

بأحوال الكُرد ويشيد ببطولاتهم وحضاراتهم في المحافل والمؤتمرات العالمية في زمن غابت فيه كلمة الحق واستبدت الأنانية والأطماع والجشع بالميول والنزعات، في زمن لا يبالي أحد بغير منافعه ولا يأبه لآلام الآخرين الملهوفين.

في التاسع من شهر نيسان عام ١٩٣١م غادر مدينة بغداد متوجهاً إلى مدينة حلب ليكون شاخصاً في مؤتمر كردي-آشوري يتدارس فيه المؤتمرون أحوال الكُرد والآشوريين. إلا أنه لم يعد إلى بغداد بل توجّه إلى "بيروت" استتب به المقام واستقرت أحواله وبدأ يكتب عن كردستان والشعب الكردي في صحيفته "الوطن" التي أسسها. وفي بيروت كان على صلة دائمة مع الدكتور محمد نوري درسيمي، والمؤرخ حسن هشيار، وآل بدرخان وهم: (جلادت وكامران وروشن) وخاصة الأمير: جلادت بدرخان الذي كان يقيم آنذاك في بيروت يتدارسان ويتداولان الشؤون الأدبية والفكرية والسياسية وكل شأن فيه صلاح الأمة الكردية. وكان يفيض في هذا الموضوع في مقالات باللغة الانكليزية والفرنسية والتركية في الصحف الأجنبية. وكان يجهر بالحقيقة دون تهيّب أو حذر وكان شعاره تغليب الحقيقة والحق على الأباطيل دون مبالاة بالعواقب. وظل يوسف ملك طوال حياته يدافع عن القضيتين الكردية والآشورية بتواز بينهما ويعتبرهما قضية كردستانية واحدة والمسؤول عن اضطهاد الشعبين وقتلهما هو الاستعمار البريطاني.

فيقول المفكر والسياسي البارع يوسف ملك بحق كردستان:

"بالطبع، إن جميع أصدقاء الشعب البولوني يعترفون بحنينه التقليدي إلى الحرية والاستقلال ويعطفون عليه.".

دوايت ايزنهاور

"ما أجمل هذا التعبير وأنبله لو كان عاماً شاملاً، لا تقيده السياسات، فيفقد روعته ويترك الناس في شك من صدق معناه ومغزاه.

ألا يعلم السيد ايزنهاور ان حنين الشعب الكردي إلى حريته لا تقل عن حنين أي شعب آخر، وان حالته تتطلب معالجة سريعة، لا تقبل المماطلة أكثر، قبل ان يساق مرغماً إلى أوضاع لا نظنها تسر من يتزعمون "العالم الحر؟".

هل يوجد في عالم اليوم كله غير الشعب الكردي الذي يطاله القانون إذا تكلم بلغته؟ كلا! دلني عليه اذا وجد اذ ربما يكون الخطأ من نصيبي والعصمة لله وحده.

انه الشعب الوحيد في العالم بأسره الذي تمنعه تركيا ممارسته لغته حتى في شؤونه الخاصة. انه الوحيد في العالم الذي لا يجوز ان يقرأ الكتب الكردية، مهما كانت، لأن سياسة تتريكه بالإكراه تقضي بسد جميع الأبواب بوجهه. إذا كان الشعب البولوني أو غيره غير طليق في تصرفاته، فإنه على الأقل يمارس لغته

بحرية تامة في شؤونه الرسمية والخاصة، بخلاف الشعب الكردي الذي يسير قتله بالجملة بقتل لغته.

إنهم يخشون توغل الشيوعية، فيبذلون أقصى ما لديهم من أموال وجهود لمحاربتها، وبدلاً من القضاء عليها أو إيقاف تيارها، تشجعها تصرفاتهم السخيفة.

ولو لم تكن تركيا حليفة أميركا العسكرية ضد روسيا، هل كان السيد ايزنهاور يغمض عينيه، كما يفعل اليوم، عما يعانيه الشعب الكردي في تركيا، ويحصر كل همه باسم "الإنسانية والعدالة" بالشعوب الأوربية الشرقية فقط؟.

لقد خيّب "العالم الحر" وما يزال، الشعب الكردي غير القانط، وان تظاهر بقبول الأمر الواقع، وهو يرى ان "العالم الحر" يعمل حثيثاً بإقامة القلاع في بلاده، الغاية المباشرة منها التضييق عليه أكثر فأكثر، والحؤول بينه وبين كل حركة تحريرية".

كان الكاتب والسياسي يوسف ملك قد نال ثلاث جوائز سنية (أوسمة) من الحكومة البريطانية وبعد أن استبان أن بريطانيا نكثت بوعودها ونقضت عهدها للشعوب المضطهدة في نصرتهم ومدّ يد العون إليهم للخلاص مما يلحقهم من ضيم وهضم لحقوقهم واغتصاب لأراضيهم أعاد الجوائز إلى الدولة البريطانية معتذراً بأنه غير ملزم بقبول جائزة ممن لا تقترن أقواله بأفعاله.

وهذه نص الرسالة:

نشرت هذه الوثيقة في جريدة الوجدان، عدد خاص ١٣/٣٣٣ في ٤ تشرين الأول عام ١٩٥٦م.

الأوسمة المعادة

كان رئيس التحرير (يوسف ملك) قد أعاد أوسمته الثلاثة إلى الحكومة البريطانية لأن بعد أعمالها البربرية في قبرص لن تبقى صالحة لترمز إلى حقوق الإنسان أو كرامته وقد توالت إعادة أمثال هذه الأوسمة في أقطار كثيرة.

بالبريد المضمون

٢٠ آذار ١٩٥٦م.

إلى سفير حكومة صاحبة الجلالة البريطانية في لبنان، بيروت.

يا صاحب السعادة،

أعيد مع هذا الكتاب الأوسمة الثلاثة الأتي ذكرها، الواحد منها يمثل " الحرب العظمى في سبيل المدنية ١٩١٤-١٩١٩" التي منحتني إياها حكومة صاحب الجلالة البريطانية الملك جورج الخامس. أما الأخرى فهي: وسام ١٩١٤-١٩١٨، وسام ١٩٢٠.

أعيد هذه الأوسمة إلى مصدرها الأصلي تعبيراً عن احتجاجي على نفي صاحب الغبطة رئيس أساقفة قبرص، مكاريوس الثالث، وزملائه الثلاثة الآخرين لا لجريمة ارتكبوها بل من أجل دفاعهم عن حق مواطنيهم في تقرير المصير والحرية- هذا الحق الذي طالما نادت به انكلترا ذاتها ووقعت على عهود دولية بهذا الشأن كميثاق الأطلسي.

ان نفي المجاهدين الأحرار المناضلين لخير بلادهم ومواطنيهم لا يتفق قطعاً والمبدأ الذي منحت من أجله هذه الأوسمة، لذلك أردها تمسكاً مني بمبدأ حرية الشعوب في تقرير مصيرها وتقديراً لجهاد صاحب الغبطة مكاريوس وزملائه ومواطنيه في سبيل تحقيق هذا المبدأ.

واني يا صاحب السعادة خادمكم المطيع.

يوسف ملك

الجواب البريطاني

السفارة البريطانية: بيروت، ٢٣ آذار ١٩٥٦م.

(الرقم ميم ألف -١٠١يو-١١)

السيد يوسف ملك ص.ب٨٥٧ بيروت

سيدي،

أوعز إلي القائم بأعمال سفارة صاحبة الجلالة ان أعلمك باستلام كتابك المؤرخ في ٢٠ آذار الذي أرفقته بثلاثة أوسمة بريطانية.

إننا ستعلم وزير حرب صاحبة الجلالة بقرارك لإعادة هذه الأوسمة وبالأسباب التي حملتك على هذا العمل، وإلى أن نتلقى تعليماته عن هذا الموضوع ستبقى الأوسمة أمانة.

واني سيدي خادمكم المطيع

(ا.جي. غراهام)

المقدم، الملحق العسكري

****

تقول الروائية الداغستانية: "لكثير من الناس أفضال علينا ولكننا قد ننسى أمرهم اذا طال الأمد بيننا وبينهم".

إن للمفكّر الآشوري الكلداني: يوسف ملك و للباحث التركي د. إسماعيل بشيكجي الذي أفنى زهرة شبابه وأمضى سنوات طويلة في السجون والزنزانات التركية وأمثالهما فضلاً ومنة في أعناق الكُرد قاطبة، وعرفاناً ببعض هذا الجميل وجب أن تحفظ ذكراهم

في ذهن كل كردي وفكره. وتنقش أسماؤهم على كل الأفئدة وعلى كل ذكرة.

حياته:

ولد في بلدة " تل كيف / تل الحجر " يوم ١٥ آذار ١٨٩٩ . توفى والده ججو فرنسيس عطار وهو في السادسة من عمره فتكفله خواله آل كلوزي الذين دفعوه للتحصيل العلمي، فادخل مدرسة القديس يوسف في بغداد ودرس اللغات العربية والفرنسية والانكليزية والتركية ، ومن ثمّ مدرسة الرشيدية والأمريكان في البصرة حتى عام ١٩١٥ ، التحق بالجيش الانكليزي بصفة مترجم وهو في السادسة عشرة من عمره ، بعدها شغل منصب المعاون الشخصي للحاكم السياسي الانكليزي في سامراء وبغداد وأخيرا الموصل. أضطر الى مغادرة بغداد والتوجه الى حلب في سوريا حيث حضر مؤتمرا (كرديا – آشوريا) ، ثم ذهب الى بيروت، حيث تعرّف على بعض قياديي ومؤازري منظمة أيوكا التحررية لغرض التعاون وتنسيق الجهود ، خاصة وان هذه المنظمة كانت تقاوم الانكليز من اجل حرية واستقلال قبرص .

في ايلول ١٩٣٣ رحل الى جنيف لتدويل القضية الآشورية أمام عصبة الأمم، عاد بعدها الى بيروت ليؤسس جريدته المشهورة (آثرا) أي الوطن، حيث أصدرها في ١٥ حزيران عام ١٩٣٨. باللغات العربية والآشورية والانكليزية والفرنسية.

عندما تسلم حسني الزعيم (كردي الأصل) منصب رئيس الدولة السورية، زاره يوسف ملك بدمشق لتهنئته، فاستقبله رسمياً كاستقبال الرؤساء والملوك، وعرض عليه منصباً رفيعاً في حكومته، فرفضه بإباء كونه منشغلاً بقضية بني جلدته. وقد وعده الزعيم بإيجاد حل منصف لمشكلة الآشوريين الساكنين على ضفاف الخابور، غير إنّ المنية عاجلته اغتيالاً.

في أيار ١٩٥٦ أتفق يوسف ملك مع صاحب جريدة "الوجدان" السيد: فؤاد البدوي المحتجبة على إصدار أعداد خاصة لنشر الآراء الحرة ومظالم الاستعمار، فأصدر العدد الأول من جريدته السياسية الأسبوعية " الحرية " بتاريخ ١٨/كانون الثاني ١٩٥٧م يدافع فيها عن حق شعبه وشعوب المنطقة المظلومة.

وأخيراً راودته المنية، فاسلم روحه الطاهرة لخالقها في مساء الجمعة الموافق ٢٦ حزيران ١٩٥٩م. وأقام أصدقاء الفقيد ومعارفه حفلاً تأبينياً ضم أركان السفارات العراقية والإيرانية واليونانية في بيروت وعدد كبير من الشخصيات اللبنانية الرسمية ومراسلي الصحف اللبنانية والأجنبية وقد افتتحت الحفل الأميرة الكردية روشن بدرخان ثم تعاقب الخطباء يحددون مناقب الفقيد الراحل يوسف مالك منهم المحامي جورج صالحي وابنة الزعيم الآشوري ملكور شليمو والدكتور اديب معوض والمحامي ناظم بطرس (ابن أخ الفقيد) و ريمون لوار نقيب

مراسلي الصحف الأجنبية ويوسف كتو وعبد الله الحاج والأب أوغسطين صادق وغيرهم. وهكذا رحل صديق مخلص للشعب الكردي وابن بار للأمة الآشورية.

من مؤلفاته :

١- (فواجع الانتداب البريطاني في العراق).. باللغة العربية ، طبع في بيروت عام ١٩٣٢ .

٢- (الخيانة البريطانية للآشوريين) .. مجلد كبير باللغة الانكليزية طبع في الولايات المتحدة عام ١٩٣٥ ، يعد موسوعا ضخما ومرجعا سياسيا هاما باشر بتدوين مسوداته وهو منفي في قبرص ثمّ أكمل فصوله في جنيف، ترجمه إلى العربية الأستاذ يونان ايليا يونان عام ١٩٨١ .

٣- (سميل مقبرة الجبابرة المغرر بهم) .. نشره باللغة الانكليزية عام ١٩٣٨ وترجمت الى الفرنسية.

٤- (كردستان او بلاد الأكراد) .. باللغة العربية صدر عام ١٩٤٥ وهو بحث سياسي حول القضية الكردية وحقوقهم .

٥- (خليفة إبليس) .. باللغة العربية صدر عام ١٩٤٥ يتناول فيه فريقا خطرا من الدجالين والمشعوذين بالمنطق بأسلوب لاذع.

٦- (قبرص وبربرية الأتراك في القرن العشرين)... كتاب سياسي صدر عام ١٩٥٥ تناول المؤلف فيه بالبحث المشكلة

القبرصية والحوادث الدامية التي وقعت في استنبول وأزمير ليلة ٦-٧ أيلول ١٩٥٥ .

٧- (ذكرى الأمير جلادت بدرخان) .. وضعه بالاشتراك مع المحامي منصور شليطا في تموز ١٩٥٢ تخليدا لذكرى مرور عام على فقدان صديقه الأمير الكردي الكبير (أمير بوتان) باعث النهضة الكردية القومية والسياسي المحنك واللغوي الضليع .

٨- (في ذكرى الدكتور فيليب عبده مبارك) .. كراس خاص لتخليد صديقه .

٩- (من هو عبد الله الحاج) .. كتاب يتناول تاريخ حياة وسيرة صديقه النائب الجرئ والخطيب المفوه عبد الله الحاج الذي رددت قاعة البرلمان اللبناني أصداء خطبه النارية .

المصادر:

-رواد من الشرق والغرب: يوسف ملك جندي مجهول تيه قومه/يوسف ناظر/ مجلة القيثارة العدد (١٠٧) لسنة ١٩٩٧/١٢م.

-سمكو الجباري، (يوسف ملك الآشوري الذي أنصف القضية الكوردية)، جريدة الأهالي العدد الثالث، السنة الأولى، الاثنين ١

تموز ٢٠٠٢ م. وهي جريدة سياسية ليبرالية مستقلة تصدر عن منظمة أصدقاء الديمقراطية-العراق.

-فاروق كوركيس، يوسف ملك الكاتب والمفكر الكلدوآشوري (١٨٩٩-١٩٥٩).

- جريدة الوجدان، عدد خاص ١٣/٣٣٣ في ٤ تشرين الأول عام ١٩٥٦م. صاحبها ورئيس تحريرها: فؤاد البدوي. المدير المسؤول: اسكندر البستاني. رئيس تحرير القسم الخاص: يوسف ملك. بيروت- لبنان.

المعلم الكبير السياسي المخضرم
إسماعيل عمو "أبو شيار"

أسماء كثيرة تمر بالذاكرة أو تخطر على البال وتطوف بها تشع لحظة ثم لا تلبث أن تتبدد كسراب في هاجرة مفازة قائظة أو تومض كما يومض شهاب هنيهة قصيرة ثم يخمد وينطفئ. ثم تندثر هذه الأسماء فلا تعود إلى ذكرها، وقد ننكر في وقت من الأوقات أنها كانت موجودة في يوم من الأيام. ولكنّ أسماء قليلة إذا طافت بالذاكرة توغلت في أغوارها واستقرت في أعماق النفس وترسخت فلا يمحوها كرّ النهار ومرِّ العشيِّ لأن أصحاب هذه الأسماء كانوا أصحاب فضل قدموا لشعوبهم أو لشعوب الأرض قاطبة خيراً ومنافع جليلة، وهل يسعنا أن ننسى "الخوارزمي" و "ابن سينا" و "ابن رشد"؟ وهل نستطيع أن نخلي الذاكرة من اسم "فيثاغورس" و "سقراط" و "أديسون"؟ هؤلاء الذين كانوا أقماراً وشموساً ساطعة في الفكر البشري، وستظل الإنسانية تنتفع بآرائهم ونظرياتهم وما تركوا من بديع الابتكارات، وروائع الفنون والعلوم. فإذا صح هذا القول واستقامت هذه العبارة فليس من مندوحة أو سبيل إلى نسيان صديق حميم وأخ بار منعوت بكل نعوت الرجولة والمروءة، حاز كل المكرمات واصطنع المعروف والفضائل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وأوتي من الحكمة والأناة ودماثة المزاج والخلق

الرفيع وعلوّ الهمة وسمو النفس ونبل الطباع المعلم الكبير السياسي المخضرم "أبو شيار" الذي اجتمعت سجاياه على الحلم والفطنة وحسن التدبر، هذه السجايا التي قد تسوّغ لنا القول: "لو كانت النبوة تُنال بالنباهة والحلم والحكمة ووفرة الذكاء والتشوف إلى الخير لنالها "أبو شيار".

عرفته أول مرة في عام ١٩٨٠م وبدأت هذه المعرفة تزداد عمقاً وشمولاً وتوطدت بيننا أواصر الود والاحترام أكثر كلما تكرر اللقاء، وكان إعجابي بآرائه السديدة، ونظرته الصائبة إلى الأمور في صعود. كنت التقي به فأحاوره ويحاورني محاورة الند للند والصديق للصديق وكنت أنظر إليه نظرة التلميذ إلى معلم امتلأ صدره بالحكمة، وأترعت نفسه بالمواعظ والعبر والخبرات المتراكمة نتيجة مراس طويل ومخالطة الناس بكل أنماطهم وألوان تفكيرهم ونوازعهم، فقد كان موسوعة عامة وشاملة لكل مل يري في مجتمعه.

كان سباقاً ومبادراً إلى تبني كل عمل جليل يرى فيه نفعاً في تطوير أبناء قومه وتوحيد حركاتهم النضالية، وجمع كلمتهم ليلتئم جمعهم وينبذا كل شقاق وخلاف. لأنه كان يراهم أشقاء في الحقوق والواجبات، شركاء في السراء والضراء، لا يحابي أو يجامل أحداً دون وجه حق، لا يهاب من الجهر بالحق وإعلانه مهما كان ثمن هذا الجهر والإعلان ممضاً وباهظاً. يتشبث بيديه كل التشبث إذا تأكد له أن الحق إلى جانبه، ولكنه سرعان ما يدع

موقفه فيما لو بان له أن نظيره الذي كان يعارضه على رأي صائب.. وقلما كان معارضه على صواب يفعل ذلك بكل يسر ورحابة صدر، لأنّ رسالته الإنسانية وطيبة نفسه ودماثة أخلاقه كانت تحتم عليه اتخاذ هذا النهج في مجمل سيرته طيلة حياته.

في تلك الأيام التي كنت أعاشره وأقف منه على مسافة قريبة وهذه الأيام كانت حقبة طويلة لم أسمع منه كلمة نابية أو مقولة جارحة أو أية إساءة أخرى مهما كانت صغيرة يوجهها إلى مناوئيه وخصومه السياسيين. لقد كان يناضل ويحاربهم بالسلاح الذي كان "زرادشت" يحارب به أعداءه الكلمة الطيبة، والفكر الطيب، والعمل الطيب. يجالس الصغير والكبير.. العظيم وغير العظيم، يصغي إلى الرجل كما يصغي إلى المرأة.. يقدّر المرأة ويعظّم من شأنها ويسعى إلى رفع الحيف عنها، وإنقاذها من الجهل والتخلف ومن كل الأوبئة والأمراض التي نجمت عن استبداد الرجل وطغيانه وتسلطه عبر قرون طويلة غابرة، لأن المرأة هي الركن والأساس وهي المدرسة الأولى التي يشيّد فيها بنيان المجتمعات فأي جيل من التلاميذ سيتخرج من مدرسة منهارة أو متداعية للسقوط، وأي خير يرجى من معلمة مُرشدة، مربية إذا كانت معتلة النفس، سقيمة العقل، غذيت بلبان الذل والهوان؟ لقد كان يدعو إلى إصلاح المجتمع وتنقيته من أدرانه ونقائصه وعيوبه دون هوادة، وكانت المرأة في أحوالها المزرية،

الغارقة في البؤس والتعاسة والاضطهاد تستأثر بمساحة شاسعة من هذه الدعوة وتنال قسمة كبيرة.[٤]

ولعلنا لا نبعد أو ننأى عن سواء السبيل اذا وصفناه بما أضفى الناقد المعروف "رجاء النقاش" على الروائي "نجيب محفوظ" من أوصاف: "حرص على السهولة والبساطة الكاملة في ملبسه ومظهره، صاحب بال طويل، وصدر واسع رحب.. يتمتع بنفسية شديدة التسامح، أمين، صادق مع نفسه ومع الآخرين، عميق الثقة بنفسه، ولكنها ثقة خالية من أي تبجح أو غرور، متواضع، لديه استعداد للرضا بما تأتي به الأيام، مع ميل للتفاؤل في أشد لحظات الحياة صعوبة وشدة" و "خفيف الظل، سريع البديهة". وفوق هذا وذاك كان "أبو شيار" عذب الحديث، لا تفارقه البشاشة، كريماً مضيافاً، يؤثر الشؤون العامة على حاجاته الخاصة، منهمكاً في تلبية ضرورات مجتمعه، لا يكاد يجد متسعاً من الوقت للالتفات إلى راحته. وكان محباً للناس جميعاً وكانوا يدركون ذلك تمام الإدراك فأحبوه كل الحب، وبذلوا له الإجلال كله والاحترام كله. وإضافة إلى هذا وذاك فقد كان صاحب مدرسة سياسية اجتماعية فكرية تستمد نظرياتها من المنطق الرصين، والتأمل العميق والحجة الدامغة والبيان الساطع،

[٤]- ولسنا ناسين حدبه المفرط لزوجته المعتلة، المدنفة، ورفقه ورأفته بها، ولا ننسى ذلك العطف والحنان اللذين كان يغدقهما عليهما أعواماً طويل دون ملل أو تذمر، ويتجشم في سبيل ذلك مشقة نفسية لا يقدر على حملها إلا العظماء من الرجال.

وتصدر قراراتها مبنية على أسس راسخة من مراعاة الصلاح العام، بعيدة عن الأثرة والأنانية والمنافع الفردية.

إن الحديث عن مآثره كثيرة وذات طرائق وشجون، يطول بنا ذكرها جميعاً ولكن لا بدّ لنا من التنويه والإشادة ببعضها. فبتوجيه منه صدرت خمسة أعداد من مجلة "كلاويز" (ولأول مرة في تاريخ الصحافة الكردية في سورية) في طباعة أنيقة ومظهر قشيب، وخصص الرواتب المجزية للعجزة لغامرين عن العمل وللأسر والعائلات التي غاب عنها معيلوها لسبب من الأسباب. وكان يشجع ويلح على إقامة الندوات واللقاءات الثقافية لتنشيط الحركة الأدبية والفنية والارتقاء بهما. وتبنى نشر كتب ودواوين للأدباء والشعراء وأقام حفلات لتكريمهم لأنه يعلم أن كل تكريم لأهل القلم حافز ومحرض على مزيد من العطاء سواء معنوياً كان هذا التكريم أو عينياً.

ولئن ظهرت في أيامهِ فئة أو زمرة من الناس الذين لم يكونوا راضين كل الرضا عن آرائه ونظرياته عن الواقع وعن المستقبل فلأنهم عجزوا عن قراءة أفكاره قراءة سليمة كما أخفقوا في فهم مراميه الدقيقة والبعيدة، ولم يستوعبوا معانيها. إلا أننا قد نعثر لهم على عذر في هذا العجز وهذا الإخفاق لأنَّ هذا الرجل العظيم النابغة كان حضوره في هذا الزمن بالذات سابقاً لأوانه وكان حرياً بهذا الحضور أن يكون بعد أن ينصرم من الدهر خمسون عاماً.

لقد رحل "أبو شيار" إلى الملكوت الأعلى، وأدرج اسمه في سجل الخالدين، وبقيت محبته وحسناته ومآثره الجليلة التي لا تعد ولا تحصى شاخصة في قلوب أبناء شعبه الأوفياء وستظل كذلك إلى أبد الآبدين.

إلى روح رائد الشعب الكردي الخالد:
بافي شيار.

إلى روح رائد الشعب الكردي الخالد: بافي شيار أهدي هذه الكلمات بكل خشوع وتبجيل... ولضريحه الطاهر أحني هامتي.

أيتها المنية.. أيها الموت الزؤام.. أيها الغادر المخاتل الخؤون.. بمخالبك السرابية الخفية ضربت أطنابك في فضائنا.. فسقط القمر عن كبد السماء، وتهشمت الكواكب والنجوم وهوت... ضل الهداة سبيلهم.. مزّق المثقفون والكتّاب أوراق كتاباتهم.. حطّم المتنورون والعارفون أقلامهم... أقيمت المناحات... والغواني والحِسان ذرفن العبرات.. ارتجَّ الكون واضطربت الكائنات... ناحت الحوريات وأعَولْنَ... فيا لبؤسنا وشقائنا!... أين هادينا ورائد قوافلنا؟ أين ذاك الماجد الهمام؟ سرعان ما فارقنا ملتحقاً بموكب الخالدين... زازا وحمزة وأوصمان... أعقد جلسة.. أدعُ إليها تيريز وجكرخوين.. وكلش.. وبي بهار.. والأستاذ ملا نامي.. الشعب برمته قد هبَّ من غفوته. ولكنه جازع، ملتاع الفؤاد جرّاء رحيلك...

أيها الموت... لا ننكر أنك اختطفته من بين أيدينا وحجبته عن الأبصار... ولكنني أقسم بشواهد أضرحة شهداء القامشلي والشهداء الأطهار.. ضحايا "سينما عامودا" وبمعبد "لالش"

النوراني.. وبضريح هذا الطاهر النقي... إنك لن تقدر على أن تزيل أفكاره وآراءه عن عقولنا أو تمحو حبه من صميم نفوسنا وقلوبنا... أيها القاتل المخاتل.

أيها النجيُّ... ايتها الدوحة السامقة الوارفة.. أيها الجبل الشامخ والطود الأشم... أيها الصديق الحميم والأخ البار. ها أنت ذا قد رحلت كما يرحل البدر عن رحاب السماء في الليلة الداجية... لقد كنتَ عظيماً فكان رحيلك موجعاً أليماً أدمى قلوب محبيك ومعارفك، وأبكى الصغير والكبير فما ترقأُ العبرات ولا تكفكف الدموع... وكانت الفاجعة كبيرة جسيمة لأن من فقدناه كان جليل القدر، عظيم الشأن...

كانت بيني وبينك أيها الراحل الخالد أواصر شتي ووشائج كثيرة من الصداقة والزمالة والمودة فهل أنا قادر بعد ذلك كله أن أعزّي نفسي في فقدك؟ وهل يتسع العزاء وتتسع المؤاساة لهذا الثالوث الإنساني الضخم؟.. وكانت علاقات أخرى من وحدة الرأي ووحدة الكلمة تجمعنا وكنا إذا التقينا وتحاورنا رأيت فصوص الحكمة تنثال من كلماتك العذبة وحديثك الطلي ولمستُ فيها سداد الرأي القويم والحجة الدامغة ولمست في بيانك سعة معرفة وغزارة علم وأمارة فطنة وذكاء... ولمستُ في شخصك أيها الرجل الفذُّ العَلَمُ أدباً جماً وخلقاً رفيعاً وشيماً وخصالاً حميدة في غاية السّمو... ونفساً نقية من النادر أن تضاهيها شيم وخصال في الناس. كنتُ أصغي إليك فأحس بأنك ملهم وأن لك أسباباً

بالسماء وخيّل إليَّ لو أن عهدك كان سابق هذا العهد وكنتَ في زمن النبؤات لكنتَ نبياً من الأنبياء. فما ذا الذي يستطيع أن يوفر لي عزاءٌ وتسلية يا شقيق مهجتي وخدين روحي؟ فليس لي من بعد فراقك سوى الدمع الهتون ولاعج الأسى والآهة الحرى والحسرات والحزن الدفين.

البلبل الحزين الفنان "محمد شيخو"

ولىّ الهزيع الأخير من الليل وأنا ما أزال مؤرق الجفن مسهداً موغلاً في الصمت والتفكير وقد دهمتني حيرة تفوق الوصف، تمر على خاطري فكرة تومض لحظة ثم تتبدد حين أجدها قاصرة عن أداء عما يختلج في صدري ولا يحمل معنى كبيراً ذا بال، غيرَ وافٍ بالمرام الذي هجرني النوم بسببه. فماذا يسعني أو يسعفني في ابتكار كلمات جديدة للكتابة عن فنان كبير شغل الناس بفنه الرفيع وملأ سمع الدنيا بصوته الشجي وموسيقاه الرائعة وألحانه الرصينة وحسن أدائه للكلمات الجزلة، الرزينة التي يختارها بفطنةٍ وحكمةٍ وذكاء من قصائد فطاحل الشعراء وكبارهم. وهل في وسعي أن اقترف عبارات مرصعة ليست لها سابقة في نعت هذا الفنان الفذ، أو كلمة شائقة تنجذب إليها نفوس القراء وتهفو إليها قلوبهم. وهل أستطيع أن أضيف جديداً إلى ما قال وتحدث عنه الكتُاب من الأوائل؟ مثل هذا السؤال كان يؤرقني ويضع خواطري في لجة من القلق والارتباك. فمن ذا الذي لم يسمع باسم هذا الفنان الكبير؟ ومن ذا الذي لم يصغ إلى تغريد هذا البلبل الحزين الذي تتسم أغنياته بنبرة من الحزن ومسحة من التألم والأسى؟ كانت أسئلة شتى تنهمر عليَّ انهماراً جعلني أتقاعس قليلاً عن الكتابة ولكنني لم أحبط ولم أيأس، فقد بانَ لي أنني أعرف عنه أموراً قلما عرفه الآخرون إذ كان صديقاً

حميماً وكان أقرب المقربين إليَّ وكنت أقرب المقربين إليه فكنا إذا التقينا عن سابق موعد أو جمعتنا الصُدفة بثَّ كل منا نجواه إلى الآخر وأمضى إليه بدخيلة نفسه. لقد كان صديقاً وفياً مخلصاً لكل أصدقائه ومعارفه بكل ما تتسع هذه الكلمات من المعاني. كان دمث الأخلاق، رقيق الحاشية، عذب الحديث، محباً لقومه عاشقاً لوطنه متعلق القلب بأرض بلده متشبثاً بالذود عن الحقوق الإنسانية أينما كانت في هذا العالم الرحيب. رؤوفاً بالمستضعفين رهيف المشاعر، رقيق العواطف. وكان إذا ذكرت أمامه أحوال الملهوفين أو سمع بأنباء بعض المنكوبين ذرفت عينه العبرات، واعتراه كرْبٌ وهمٌّ.

في قرية "خجوكي" القريبة من مدينة "القامشلي" ولد الصبي: محمد شيخو مفطوراً على الشغف بالألحان والموسيقى ومما زاد من ولعه وشغفه لقاؤه مراراً بأحد خلانه "الشيخ فاروق الحسيني" الذي كان يقيم في قرية "بركو فوقاني-بركو الشيخ حميد" المتاخمة لقريته. والذي كان يجيد العزف على "الطنبور" ويتمتع بصوت رخيم. ولم تكن الآلة الموسيقية التي داعبت أوتارها أنامل الصبي "محمد شيخو" أول وهلة سوى وعاء مستطيل من الصفيح "التنك" شدت عليه أوتار انتزعت من ذيول فرس أو دابة أخرى.

ومن هنا قد تتجلى لنا عبقريته، فهو لم يدخل معهداً للموسيقى ولم يتعلم في أكاديمية ومع كل ذلك استطاع بفضل موهبته

العظيمة ونبوغه أن يكوّن شخصيته الفنية ويرتقي بها ثم يغدو فناناً كبيراً ويبتدع مدرسة موسيقية فنية سار على مناهجها فنانون آخرون وانتفعوا بها انتفاعاً كبيراً. وما زال الفنانون الناشئون يحذون حذوه محاولين ولوج عالم الفن الرفيع.

في عام ١٩٨٤م كان أول لقائي بالفنان "محمد شيخو" في مدينة دمشق في أحد أيام الاحتفال بعيد الـ "نوروز"، وقد ضم هذا اللقاء الشاعر الكبير "تيريز" والكاتب الكردي "بافي نازي" والرسام سعيد شوزي أبو جوان.

في عام ١٩٨٥م دعوت بعض المعارف والأصدقاء إلى المشاركة في حفلة عرسي التي كنت أزمع إقامتها في "عامودة" وكان الصديق "محمد شيخو" أحد الذين وجهت إليهم الدعوة وقبل موعد ابتداء الحفلة بعدة ساعات فاجأني بحضوره ترافقه فرقته الموسيقية، وهو الذي لم يكن يلبي الدعوات لإقامة حفلات الأعراس ومناسبات الأفراح العائلية الخاصة.

وفي الحقيقة فقد وضعني حضوره في موقف حرج وأشعرني بخجل عميق فقلت له في استحياء: "ليتك لم تفعل ذلك" فقال: "هذا أقل ما يمكن أن أقدمه لصديق أكن له الود والاحترام".

لقد كان حضوره مثلاً رائعاً وبرهاناً ساطعاً على مدى تقديره ووفائه لأصدقائه، وكانت هذه البادرة الكريمة حجة دامغة على سمو هذا الصديق وعظيم قدره، وسوف تظل راسخة في ذهني

إلى أبد الآبدين. لأنّ المآثر العظيمة تكون دائماً، في كل زمان ومكان عصية على النسيان.

ها هو ذا الليل قد طوى بساطه وانبلج الصباح ولم أستطع أن أضفي على هذا الخل الوفي ما يستحق من الثناء الحسن لأنه فوق كل إطراء.

الشاعر الكردي يوسف برازي
"بي بهار Bêbuhar" كما عرفته
(١٩٣١-٢٠٠٩)م.

منذ يفعي وصبائي وفتوّتي الأولى ظل سؤال غريب يراودني، ويخامر إحساسي- وما زال ملحاً في مراودتي حتى الآن- عما إذا كنت قد خلقت مفطوراً على الشغف بالشعر بكل صنوفه وضروبه وبالأدب بكل أجناسه وألوانه، وعلى أن تكون الآداب برمتها ضالتي التي أنشدها وأن تكون مطمح آمالي وغاية رجائي. وإلا فما معنى هذا الكلف الجلل، والتعلق الطاغي بالأدب وأهله، وبالشعر وأربابه؟ ولقد دفعني هذا العشق وهذا النزوع إلى معرفة شعراء من الفطاحل الكبار من أمثال الشاعرين اللامعين: جكرخوين وتيريز وسواهما ومخالطتهم والإصغاء إليهم ومحاورتهم، وفي تلك الأعوام الخوالي حتى قبيل عام ١٩٨٤م لم أكن قد التقيت بالشاعر النابه: يوسف برازي (بي بهار Bêbuhar) ولم أكن قد قرأت شيئاً من شعره لأن أعماله لم تكن قد صدرت حتى ذلك التاريخ إلا أن ذاكرتي كانت حافلة ببعض قصائده التي وردت على أفواه المنشدين والمطربين المبدعين المجددين في الألحان الكردية وهم أصحاب المدرسة الحديثة في أداء الأغنية مثل الفنان محمود عزيز شاكر وسعيد

كَاباري و "البلبل الحزين" محمد شيخو.... ولم أعرف هذا الشاعر قريباً عن كثب إلا في دمشق في عام ١٩٨٤م حين جاءني زائراً في صحبة المطرب محمد شيخو وفي تلك الفترة كان الشاعر: تيريز يقيم في منزلي ضيفاً. فلما قُرِعَ الباب هرعت لاستقبال الطارقين ولما فتحت الباب برز أمامي الصديق الفنان محمد شيخو يرافقه شخص لم يسبق لي أن وقعت عليه عيناي. كان امرأٌ جَسِداً قوي البنية لا تقتحمه العين على محّياه بشاشه وعلى شفتيه ابتسامة يرتدي ملابس قشيبة، على غاية من الأناقة فرحبت بهما ترحيباً عظيماً وفرحت بمقدم الصديق "محمد شيخو" وبلغت سعادتي ذروتها حين علمت أن مرافقه ليس سوى الشاعر يوسف برازي الذي كنت متلهفاً إلى لقائه... وكنت شديد ألتوق إلى رؤيته والإصغاء إلى ترانيمه الشعرية، إلى هذه الشخصية الفذة التي كنت أتصورها شخصية فريدة أقرب إلى الأسطورة... . لقد شعرت أنني أحلق في سماء المسرات والفرح والسعادة... فها هي ذي تسعى إليّ على قدميها مسربلة بمنديل من الحرير على طبق من ذهب غنيمة باردة دون أشد إليها الرحال وأتجشم وعناء الاسفار. فشكرت الأقدار التي أتاحت لي هذه السانحة وحققت لي هذه الأمنية الغالية.

وبعد أن استتب بنا الجلوس بادر إلى القول في رقة وابتسامة جذلى تغمر محياه:

-لقد جئت للغرض الذي جاء من أجله شاعرنا تيريز، جئت كي تعد وتهيء ديواني المخطوط للطباعة.

مكث الشاعر: يوسف برازي (بي بهار Bêbuhar) في ضيافتي زهاء خمسة وعشرين يوماً أو فوق ذلك بقليل، استطعت في خلالها نسخ مخطوطه على الآلة الكاتبة بالحروف اللاتينية وقد كان في الأصل مكتوباً بالأحرف العربية. وبعد أن فرغت من العمل الذي لم يكن له من بد طلب إليّ أن أبّج لديوانه "الزنزانة Zindan" مقدمة فلبيت طلبه وأنجزت له ما أراد. أما هو فقد أهدى إليّ أجمل قصيدة في ديوانه.

ومنذ تلك الأيام توطدت بيننا صداقة حقيقية وترسخت روح الإخاء وتوثقت يوماً بعد يوم وشائج المودة والإخلاص والوفاء، وتحاورنا في الشؤون الثقافية وسعينا بكل جهودنا إلى الحفاظ على القصيدة الكردية الموزونة وحمايتها من العبث والتشويه. ولقد ظل ذلك كله دأبنا حتى آخر يوم من رحيله.

كان "بي بهار Bêbuhar" كما عرفته محباً لوطنه وقومه جريئاً، سريع البداهة عذب الحديث، محباً للطرفة والفكاهة، جم التواضع، سخياً، داعياً إلى الخير. مخلصاً لخلانه وأخدانه وفياً لأصدقائه. وكان إلى ذلك شديد المراس قوي الشكيمة، أبياً شهماً حين يكون الحق إلى جانبه. شامخ الهامة عند الملمات والشدائد... وكان إلى جانب ملكته الشعرية، موسيقياً بارعاً يعزف على أكثر من آلة موسيقية، وكان مطرباً طليّ الصوت، وملحناً... مطبوعاً

على الأداء الممتع في جميع ملكاته، وكان صاحب أذن موسيقية مرهفة، مغرماً بالموسيقى إلى حدود العشق. وكان من دأبه أن يمنح قصائده وألحانه لمطربي ومغنيي ذلك العهد وفي مقدمتهم الفنان: محمود عزيز شاكر، ثم الفنان سعيد كاباري، ثم الفنان محمد شيخو وآخرهم زبير صالح وغيره. ومما لا ريب فيه أنّ كثيراً من ألحانه نُهبت وانتحلها بعض المطربين والمغنين في تلك الحقبة وعزوها إلى أنفسهم إذ لم يكن يوجد آنذاك ملمّون أو ذوو خبرة ومراس بالتلحين وأساليبه. في تلك الحقبة التي كانت الأغنية الكردية قد فقدت أصالتها وانحدرت إلى الحضيض بعد خلو الساحة الغنائية من عباقرة الأغنية وهم الرعيل الأول الذين ارتقوا بالأغنية الكردية إلى أعلى المراتب والدرجات مثل: عارف جزراوي، وكاويس آغا، وشاكرو، وكربيت خاجو، وعيشه شان، ومريم خان...الخ. وبعد أن غابوا وفرغت من ميادين الطرب هبطت الأغنية هبوطاً ذريعاً لحناً وصوتاً وأداءً ومعنىً، وظل الأمر كذلك حتى حل الزمن الذي ظهر فيه الشاعر يوسف برازي"بي بهار Bêbuhar" الذي أعاد إلى الأغنية رونقها وألقها وبث فيها الروح بعد موتها فانتعشت وسارت بخطوات حثيثة تجدد تراث الرعيل الغابر وتحاول أن تضيف إليه شيئاً جديداً وتبعثه مرة أخرى، وتتجاوزه إلى الأفضل. ومن الطبيعي أن نسوّغ لأنفسنا القول بأن الشاعر "البرازي" هو المجدّد الحقيقي للأغنية الكردية التي تبوأت الآن مكانة رفيعة، ولا ندري كم كانت الأغنية الكردية ستظل رهن التشتت

والركاكة لو لم يُقيّض لها هذا الرجل الذي أنقذها بعبقريته من الوهن والبلادة وألوان الهوان التي لحقت بها في تلك الأيام.

وقد خطر لي أن أسأله في أحد الأيام:

-لماذا لا تغني وأنت صاحب هذه الحنجرة الذهبية وتمتلك جميع مقومات الطرب وكافة الوسائل الفنية من تأليف وتلحين وعزف. وكل هذا يتيح لك أن تكون فناناً له شأن عظيم في عالم الطرب والغناء، بل يتيح لك أن تكون رائداً في هذا المضمار؟ فقال:

-كان من الممكن أن أسير على هذا النهج وأفعل ذلك منذ أعوام طويلة خلت، غير أنني –في البدء- شغلتني قضايا وشؤون سياسية، وكان المجتمع السياسي –آنذاك- لا ينظر إلى هذا اللون من الفن بعين الرضى والقبول، وكان يستاء من كل عمل لا يمت إلى السياسة بصلة، ولذلك اضطررت إلى العزوف عن الغناء لأن أهل السياسة يرونه ترفاً لا حاجة إليه. ولكنني رفضت أن تحل القطيعة بيني وبين الغناء والتلحين والعزف، فأنا أغني وأعزف كلما خلوت إلى نفسي أشفي بذلك غليلي وأخفف عن شجوني وأنا أبث الآلة الموسيقية شكيتي وآلامي.

ومما يمكن التنويه هو أن هذا الشاعر زاول كتابة الشعر منذ أيام صباه، وعلى الرغم من هموم الفاقة ومشاغل الحياة اليومية والالتفات إلى كسب قوته والخوض في غمار العمل كان غزير

الإنتاج وكأنه يمنح من منهل لا ينضب، ودوّن عدة أعمال كان باكورتها ديوانه "الزنزانة Zindan"، ثم أعقب ذلك صدور دواوين أخرى تحمل مضامين مختلفة تنهج في الشعر طرائق شتى تعالج المسائل الإنسانية، والوطنية، والثورية، وتبرر أحاسيس الشاعر النفسية وتضع بين أيدينا خبايا الشاعر ومكنوناته وعواطفه الجياشة وحبه العميق للإنسان أينما كان هذا الإنسان، والإشفاق على البؤساء والمساكين وكذلك إباءه وشموخه وشجاعته وترفّعه عن صغائر الأمور وسفاسفها، وحِكمه وأقواله المأثورة وأضراباً من النوازع التي يختلج بها صدر الشاعر الرحيب الذي اتسع لمحبة الجميع.

لقد كان هذا الشاعر العظيم لي صديقاً مخلصاً وأخاً حميماً وها هو قد رحل، ولكنني وفياً له مقيماً على العهد مقدساً ذكراه... لقد كان شاعراً ملء إهابه الإنسانية بكل حذافيرها قلما يجود بمثله في هذا الزمن.

الشاعر يوسف برازي "بي بهار Bêbuhar" في سطور:

-وُلِد الشاعرعام ١٩٣١م في قرية تل جرجية التابعة لمنطقة الباب بمحافظة حلب.

- انتقل مع عائلته إلى مدينة منبج عام ١٩٤٧م، ثم إلى مدينة سرى كانيه (رأس العين) عام ١٩٥٦م.

- بدأ بالكتابة عام ١٩٤٣م. أول قصيدة له هي: (حبس و زندان).

- تأثر بالشاعر جكرخوين، وآبو أوصمان صبري، ورشيدي كرد،.. وغيرهم.

- انضم إلى الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا منذ بدايات تأسيسه وناضل بكل شجاعة في سبيل قضية شعبه الكردي العادلة. وتعرض للتعذيب وواجه جلاديه بكل شجاعة. وبقي إلى آخر لحظة في حياته ملتزماً بقضية شعبه .

- نال جائزة مئوية الشاعر جكرخوين الرمزية.

- توفي صباح يوم الخميس ٢٠٠٩/١/١٥م في مدينة سري كانيه / رأس العين/ التابعة لمحافظة الحسكة.

أعماله المنشورة:

- الديوان الأول Zindan (الزنزانة) عام ١٩٨٨م. تقدمة: دلاور زنكي.

- الديوان الثاني Bang (النداء) عام ١٩٩٧م.

- الديوان الثالث Raperîn (الانتفاضة) عام ٢٠٠٢م. (بدون تقديم)

- الديوان الرابع Serxwebûn (الاستقلال)عام ٢٠٠٥م. تقدمة: إبراهيم اليوسف.

- الديوان الخامس Pêşketin (التقدم) عام ٢٠٠٧ م. صدر عن مؤسسة سما لنشر الثقافة الكردية. (بدون تقديم).

وله عدة دواوين لم تنشر بعد.

لا يعملون ولا يدعوننا نعمل

منذ البداية أرغب في إيضاح الأمر فإن هذا المقال ليس مقالاً سياسياً، ولكنه حديث عتاب ولوم، وتفسير لأحوال حرجة هي صورة لواقعنا. قد يجد البعض في هذا الحديث إلاماً أو مضضاً لأن الحقيقة مرة كما يقال ومن حقي أن أعلنها رغم مرارتها، وفحوى هذا الكلام أو هذا المقال هو ما جرى لرجل كهل كبير في السن من الحدث، هذا الرجل الذي طويت صفحة ذكره، وأدرج اسمه في طيات النسيان في مجتمعه وعدّ في الأموات وهو ما يزال حياً. تُرى من ذا الذي ارتكب هذه الجريرة في حقه ومن هو الملام؟ ومن ذا الذي يجب أن نحاسبه؟. إلا أنني على يقين أن أمثال هذا الرجل في مجتمعنا كثيرون. لقد التقيت بهذا الرجل عَرَضاً وكان أثر هذا اللقاء في نفسي بالغاً. ومن ثمار هذا الأثر شروعي في كتابة هذه السطور، وليس ثمة شيء آخر دفعني إلى الكتابة. وقبل أن أمضي في سرد هذه الحكاية سأتحدث قليلاً عن واقع هذه الحقيقة المرة.

لا شك أن حياة الإنسان مجردة من الحرية في ظل الحكومات الجائرة والولاة الغاشمين، وكل شعب يتسلط على رقابه المتسلطون لا بد من أن تكون حقوقه موزعة بين سلب ونهب. فإذا كان الشعب الكردي مجزءاً ومشتتاً ومحروماً من العيش الكريم بين أربعة دول، تحت ظل التسلط والاضطهاد فمن

الطبيعي أن يتغلغل هذا الجور والانتهاك إلى لغته وثقافته والى أدبه وإرثه الشعبي (الفولكلور)، ومن الطبيعي أيضاً أن يضيع – في ظل هذا الإجحاف- وأن يفقد أفراد الشعب هويتهم السياسية وشخصيتهم القومية متأثرين بثقافة المحتل وقوميته. لذلك –وبناء على ما تقدم- كي نصون مقوماتنا ونقلل من تأثير ثقافة المحتل وقوميته، والعمل على رقيّ مجتمعنا- علينا بناء المؤسسات الاجتماعية والثقافية والسياسية والإنسانية.

فإذا أنشئت هذه المؤسسات في أي مجتمع من مجتمعات الشعوب كان من السهل أن يتعرف الناس أحوالهم ويزدادوا معرفة بأحوال العالم، ويتبينوا الصديق من العدو ويميزوا الصالح من الطالح، وعندئذ لن تلتبس عليهم الأمور ولن يختلط العمل (الاستراتيجي) بالعمل (التكتيكي). وهذا يدل على مدى تقدم وتطور ذلك المجتمع.

بَعْدَ أن وضعت الحرب الكونية الأولى أَوزارها شرع الكُرد في إنشاء الجمعيات والرابطات الثقافية والاجتماعية وتأسيس المنتديات السياسية. وقد كان لهذه المؤسسات المختلفة دور كبير وفعال في إنعاش الحس القومي وإيقاظ الشعب الكردي من سباته.

قبل كل شيء قد نسائل أنفسنا ما هو جوهر الأحزاب ولماذا تؤسس وما غايتها؟ من الواضح أن الأحزاب في ذاتها وسيلة وليست غاية. وهي في العادة تتألف من مجموعة أفراد يتمتعون بطاقات فكرية ومدارك واسعة وثقافة تربطهم أواصر من

الأماني والتطلع إلى مستقبل الجماهير الغفيرة وتحقيق أمانيهم في حياة حرة وكريمة، كما يجمعهم العمل المشترك سواء في المجال السياسي والاجتماعي، وقصارى القول فإن الحزب هو بذل وعطاء وليس سعياً وراء مكاسب أو منافع شخصية.

ولكنْ أين موقع أحزابنا ومدى قربها من هذه الأهداف والغايات؟.

قبل الإجابة عن هذا السؤال أرغب في القول: في ١٩٥٧/٦/١٤م الرابع عشر من حزيران عام ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين تأسس في غرب كردستان (الحزب الديمقراطي الكردستاني). وكان من أهداف هذا الحزب في الدرجة الأولى تحرير وتوحيد كردستان، وكانت برامجها وبياناتها تصدر باللغة الكردية. وقد سعى هذا الحزب سعياً جاداً لإحياء اللغة الكردية فطبع ونشر الألف باء الكردية التي ألفها الكاتب الكبير وسكرتير الحزب أوصمان صبري. وفي الخطوة الأولى ألزم الحزب أعضاءه بتعلم اللغة الكردية قراءة وكتابة، وأيقظ الشعور القومي في نفوس المعارف والأنصار والأصدقاء. كان الحزب بكامل أفراده، كخلية نحل، من الأعضاء وسكرتيره يطوف ويتجول بين كافة الطبقات والفئات الشعبية معلماً ومرشداً، يعلم الناس اللغة الكردية وكيفية النضال من أجل قضيتهم العادلة.

ها نحن في فجر القرن الحادي والعشرين وقد مضت أربعون عاماً على تاريخ هذا الحزب منذ تأسيسه.

أما اليوم فنحن أصحاب اثنتي عشرة فرقة حزبية وفي هذا الصدد يخطر ببالنا الدعاء الكردي باليمن والبركة والكثرة عند استحسان شيء (أيها البيت كن ألف بيت). ومما يؤسف له أن عدد احزابنا يتجاوز عدد اصابع اليدين أما المتمرسون بالسياسة فإنهم اقل عدداً من هذه الأحزاب؟. لقد غدا الأعضاء الحزبيون طبولاً ومزامير لأولئك النرجسيين الباحثين عن الشهرة والزعامات المزيفة، المتكالبين على مكاسب شخصية. لقد وجد الحزب ليكون وسيلة تبلغ به غاية مّا مثلما تمتطي حماراً ليسير بك الى مكان. أما أن يركبك الحمار وتبدأ أنت بالنهيق وان تركل وترفس وتلبط ففي ذلك من الهول والفساد ما فيه.

وهذا لا يعني انني اقصد بكلامي جميع الاحزاب، وفي الوقت نفسه لست مناوئاً لحزب من الأحزاب أو حركة من الحركات غير أنّ غالبية هذه الأحزاب المتنوعة- وليس كلها- غافلة عن الاسباب والظروف التي كانت سبباً لتأسيها. وهي الآن يَرينُ عليها غشاوة من الغموض على اهدافها وتطلعاتها الفكرية والسياسية، تصول وتجول في الفراغ، وهي حتى يومنا هذا لم تحاول كشف الغطاء عن نياتها والغاية التي تسعى لبلوغها ولن تحاول ذلك في يوم من الأيام، سوى أنها تعلن بعض الشعارات الغامضة والمعقدة دون أن تقدم للناس لها شرحاً مستفيضاً أو تفسيراً واضحاً. وتتغلب عليها ظاهرة الخلافات والمشاحنات فيما بينها وكأنها قد نسيت أو تناست خصومها ومصارعتهم، أو كأنَّ كل حزبٍ وجد أصلاً لتأجيج نار المنازعات والمشاحنات بينه

وبين الاحزاب الأخرى والتشنيع عليها واغتيابها والنيل منها وكأنه يجد سر بقائه وديمومته في ازدراء الطرف الآخر كأنما ليس له غاية أخرى. أما أعضاء ذلك الحزب فيؤمنون بمبدأ (إن لم تكن رفيقي فأنت عدوّي). ونحن نتساءل أمن أجل هذا كان وجود الأحزاب؟ فهل ناضل المناضلون وجاهدوا- من أمثال الدكتور نورالدين ظاظا والأستاذ أوصمان صبري وغيرهما لتكون الأحزاب على هذه الشاكلة؟ أليس من الخزي السكوت عن كل هذا؟.

ففي عام ١٩٦٢م جرى الاحصاء الاستثنائي الجائر الذي أدى إلى حرمان أكثر من مائتي ألف كردي من الجنسية، وفي عام ١٩٧٣ تم إجلاء أعداد من الأسر التي غمرت مياه السد أراضيهم وتم إسكانهم في قرى الجزيرة ومُنِحتْ لهم أراضي الكُرد وغيرت أسماء القرى إلى أسماء عربية. وشُدّدتْ الرقابة على الثقافة الكردية واللغة الكردية. فكيف تكون احوال الكُرد في ظل هذه الظروف القاسية وكيف ستتصرف الحركة الكردية وما هو العمل؟. تُرى هل تؤدي الأحزاب الكردية أعمالها بطريقة صحيحة أم لا؟ هل تؤدي هذه الاحزاب وظائفها بالشكل الأمثل؟ ماذا قدمت للثقافة الكردية؟!. وهل أن قياديي الحركة ليسوا بحاجة الى تعلم القراءة والكتابة باللغة الكردية؟!.

هذه الأسئلة ومثيلاتها تطوف بأذهاننا وهي بحاجة إلى أجوبة واضحة، ولكنني سأرجيء هذه المسألة قليلاً لأعود إلى موضوع

الرجل المسن لأروي لكم حكايتي معه. وقبل أن أخوض في الحديث عن هذا المسن الشاعر يجدر بي أن اذكر كيف بدأت معرفتي به أول وهلة.

في صيف عام ١٩٩٧م كنت أقوم بتوزيع نسخ من كتاب (شرف نامه) من نظم الشاعر الكبير جكرخوين في قرى ومدن (الجزيرة) حيث ليس عندنا مكتبات ودور النشر تقوم بمهمة بيع الكتب فيضطر الكاتب أو المؤلف إلى توزيع ونشر اعماله بنفسه، وأنا أيضاً أحد اولئك الكتاب الذين ينشرون ويوزعون كتبهم سراً، وكم يكون جميلاً بالأحزاب أن تتحمل هذا العبء ولكنها لم تحرك ساكناً في يوم من الأيام ولم تقدم أي عونٍ لأي كاتب رغم الإلحاح واللجوء إليها، وقد كنت أقوم –على كرهٍ مني- بتوزيع الكتاب في هذه المدينة أو تلك القرى أطوف على البيوت وفي الوقت نفسه أشعر بخجل عميق فكنت أواسي نفسي وأداري هذا الخجل بالقول: في الحقيقة إن توزيع الكتب ليس جزءاً من مهمة الكتّاب والأدباء، ولكن واأسفاه لقد تحولنا الى باعة متجولين... إنها مهمة ألصقت بنا ولا محيد عنها. إننا قد نغفر لهذا الحزب أو ذاك هذا التقاعس. إلا أن احزاباً كانت تقف حجر عثرة وتنصح رفاقها بمقاطعة هذا الكتاب أو ذاك، وتعتذر بدعوى أن الكتاب مؤلف باللغة الكردية: (فلو كان باللغة العربية لاستطعنا تداوله). وقد كان البعض يتناول منا الكتاب على مضض بسبب صداقة عابرة أو معرفة قديمة. فلماذا كانت تلك الاحزاب ترفضنا وتناوئنا؟ ربما كان من حقها أن تفعل ذلك لأننا كنا نبصّرها

بأخطائها ونهديها الى سوء السبيل. وفي هذه الجولات كنا نعقد مجالس للحوار في الأمور الثقافية.

في إحدى قرى الجزيرة (كركي لكي=Girkê Legê) في إحدى الأمسيات تحدثنا في أحوال الثقافة وكنا نخوض أحياناً في الشؤون الفكرية، وقد كان المجلس منعقداً في دار الأخ: (أبو. كـ) فقال في لهجة لوم وعتاب وقال:

ـغداً عند شروق الشمس سنتوجه إلى بيت شاعر كهل ينظم قصائده باللغة الكردية وله عدة دواوين ما زالت مكتوبة بخط يده ومما يحز في صدورنا أن لا يبالى به أحد. وفي الحقيقة سرتني مبادرة الصديق ورحبت بها.

وفي صبيحة اليوم التالي لدى بزوغ اشعة الشمس الأولى خرجنا لزيارة الرجل الشاعر في داره. وبعد أن سرنا مسافة وصلنا إلى قرية كبيرة، كان جميع سكانها من البدو، وهنالك ساورني القلق ان نكون قد أخطأنا في المجيء وحرت في الأمر فهل تجاوزنا الحدود العراقية فنحن الآن في احدى قرى عشائر الشمر أو الجبور؟!. قلت في نفسي لقد سبق لي أن شاهدت جميع القرى التي بنيت للغمر فمن أين جاءت هذه القرية الكبيرة؟ وبدأت الوساوس والأوهام تغزو فكري وتحيرني. وأحسست بثقل وصداع في رأسي وبشيء كالدّوار ينتابني. وقشعريرة باردة تنساب في أحشائي. حاولت أن أحرك لساني إلا أنّ ريقي كان قد جف فالتصق لساني بحنكي فلم أقدر على التفوه بكلمة.

لا أريد أن أنكأ الجراح وأثير الأشجان من مكامنها ومن الخير أن نعود الى سيرة هذا الرجل الذي تجشمنا العناء للقائه.

أخرجني صوت صاحبي من متاهة أفكاري وتصوراتي وأدركت مدى قسوة الحالة التي ترديت فيها. حين هتف بي:

-ماذا دهاك؟ إنك لتبدو مرهقاً جداً... ها قد وصلنا إلى القرية. وها نحن أمام بيت الرجل.

إلا أنني لم أعبأ بما قال.

دخلنا الدار فاستقبلنا رجل ربعة (متوسط القامة) مجلل بملابس بيضاء، أشقر البشرة، ورد تحيتنا بلغة كردية فصحى، وبعد أن رحّب بنا واستتب بنا الجلوس، شرحنا له الغاية التي حضرنا إليه من أجلها. فلما شكا الرجل حاله وعدناه بتحمل أعبائه ووعدناه خيراً. كنت ابتغي من وراء ذلك أن أقدم لهذا الشاعر البائس خدمة، لأن مثل هذه الخدمات إنعاش للثقافة الكردية.إلا أن بعض الوشاة المفسدين مثل (بكو عوان) سدوا عليّ المسالك وحالوا بيني وبين طبع أعماله الشعرية وحرموني من أداء هذه الخدمة النبيلة الجليلة.

ومهما يكن من شيء فإنني لا أستطيع نسيان هذا الرجل، ولا تستطيع الأيام أن تمحو ذكراه من ذاكرتي. في ذلك اللقاء بدأ هذا الشاعر المغمور يشنّف اذاننا ببعض أبيات رائعة من قصائده ثم سرد علينا قصة حياته.

حكاية صاحبنا هذا طويلة جداً. لا ندري من أين نبدأ؟ هل نبدأ من حيث نُفي أجداده وآباؤه وأسلافه؟ هل نبدأ من حيث حرمانه وبؤسه وهوانه على الأحزاب وإهمالها له؟ وهذا حديث حبذا أن نرجئه إلى الزمن القادم ولن أضيف شيئاً آخر لأننا واثقون بأن نقيق الضفادع إلى زوال. وقد قال الاسلاف:(كل شيء يستحسن في أوانه).

إن هذا الشاعر شخص شديد التكتم، ومع ذلك فلنصغِ إليه وهو يحدثنا عن شخصيته:

(انني . أدعى نورالدين بن محي الدين بن ملا علي بن شيخ عبدالله بن عبدالمجيد، انتمي الى سلالة الشيخ أحمد خاني. اكتب قصائدي باسمي المستعار (غمكين خاني). تلقيت دروسي في قراءة القرآن على يد الشيخ صالح بن الشيخ عبدالهادي بن سيد شيخموس.

في عام ١٩٠٤م ولدت في قرية (بير خو) من اعمال قضاء (وان)، وفي عام ١٩١٤م إبان الحرب العالمية نزحنا الى جزيرة (بوتان)، ومن هناك هاجرنا الى غرب كردستان وأقمنا في قرية (ديرونا قلنكا)، وفي خاتمة المطاف اخترت الإقامة في قرية (همو قوم) أما الآن فأقيم في قرية (عرعور) قائماً بوظيفة إمام في مسجدها.

أتقن اللغة العربية والتركية والكردية. لدي مخطوط ديوان شعر مؤلف من مائتين وخمس وعشرين قصيدة، وقد خمّست كتاب الشيخ الصنعاني).

والآن (اليك أتوجه بالكلام أيها الجدار وإياك أعني ايتها الكنة)، إنهم لا يعملون ولا يدعوننا نعمل، كان الله في عوننا.

انطفاء الجذوة الأخيرة من نار سينما عامودا

بقلم: دلاور زنكي.

ترجمة:الشيخ توفيق الحسيني.

الزمن هو يوم الأحد الواقع في الثالث عشر من شهر تشرين الثاني عام ستين وتسعمائة وألف ميلادية، ١٩٦٠/١١/١٣م. والمكان مدينة "عامودا" من محافظة الحسكة.

إنه يوم تاريخي، له شهرة وذيوع صيت. إنه يوم حريق "سينما عامودا". يوم احتراق /٣٠٠/ ثلاثمائة طفل بريء. إنه اليوم الذي مُحِيتْ فيه ثلاثمائة اسم وزالت عن شجرة الحياة، ودفن أصحابها في مقبرة عامودا قريباً من تل "شرمولا". إنه اليوم الذي فتحت فيه جميع أبواب السماء على مصاريعها. في حين أوصد باب سينما عامودة وأغلق على أطفال أبرياء لا ذنب لهم... كان المفتاح قد استقر في جيب آلهة الأرض، في جيب الملوك والأباطرة والسلاطين والحكام... اجتمعت آلهة الأرض وآلهة السموات وعقدوا المجلس... تنادَوْا وهمسوا في أذن "كُرى مانجو"[٥]. وأصدروا قراراً.. في هذه المرة لم يُرعب "كُرى مانجو" الأطفال وحسب، ولم يتراءى لهم في الحلم وحسب... بل

[٥] - عبارة لتخويف الأطفال الصغار.

ظهر لهم في لون "النار" حوّل ذلك المكان جحيماً للصغار وجعل عامودا "أتون نيران"... تبدد صراخ الأطفال وتلاشت صرخاتهم وأصوات استغاثتهم في هبوب النار.. صعدت إلى الأعالي إذ تحولت إلى دخان... صارت السنة لهيب. صارت رماداً وإنسان مع نهر عامودا... احترق الأطفال.. تمزقت قلوب الأمهات.. تفتتت أكباد الرجال... الأخوة والأخوات... الأخوال والأعمام أقاموا المناحات... كان إله الأرض "إله الشر" يرتشف القهوة من فنجانه ويتمزز ه متلذذاً وينفث دخان لفافته من منخريه ومن بين شفتيه مبتسماً ومنتشياً برائحة شواء الأجساد... كان يحرك رأسه في مرح وحبور. كان يثمل! أجل يا أماه كان يضحك ملء حنجرته ويقهقه.. صارت قهقهته زوبعة تدوّم وتحلق... صارت ثوب حداد ارتدته عامودا. ضجت المدينة صراخاً واستغاثة... احتدت الحرب في السماء بين آلهة الخير والشر وبين أنصارهما... بين الملائكة والشياطين والمردة... تناطح العفاريت الحمر والسود... كانت الملائكة تخمد النيران وكانت الشياطين والأبالسة تؤججها برفيف أجنحتها... تصارع أهريمان وهرمز...

واسوْنا وعللونا بكلمة القضاء والقدر. ما فات فات فلا تذهب عليه نفسك حسرات فإنه لن يعود.. ثم غفونا.. واستغرقنا في سبات عميق.. كيف حدث ذلك كله؟. من ذا الذي اجترح هذه الخطيئة ومن هو صاحب هذه الجريرة؟ من الآثم المجرم؟ أين

السادة ورجال الدين؟ أين أولئك الصناديد؟... لقد نُسي كل شيء وأسد عليه الستار.. فقد تهاون هومان[٦] وإبليس وتصالحا.

فداء لك الروح يا أماه.. ماذا صنعتِ؟ لقد قال أسلافنا منذ القديم: " Şêr şêr e, çi jin çi mêr e" . لقد كنتِ امرأة ولكن ليس ككل النساء... لقد صارعتِ النار... قاتلت الأبالسة وحاربت الشياطين- كم مرة اقتحمت غمرات النار.. كم من الأطفال أنقذت؟ فدا لك المهجة يا أماه... لقد كان في وسعك أن تنقذي العشرات من نار حريق سينما عامودة ولم تستطيعي أن تنقذي شقيقي "أحمد إسماعيل" من نيران ذاك الجحيم.. كنت تهتفين: أيها الناس: إنهم جميعاً أبناؤنا نحن الأكراد... إنهم القرابين التي تقدم على مذبح الحرية... وا غوثاه .

أجل يا أماه... إنهم أبناؤنا نحن الأكراد... لقد احترقوا بأيدي أبالسة وشياطين الأرض والسماء. وا غوثاه. لقد أحرقوا عنادل الجنة وبلابلها.. نالوا رغائبهم الحسيسة بألاعيبهم الشيطانية الوضيعة. ولكن ماذا فعلنا؟ لقد كنا منهمكين في تلاوة سورة "يس" يا –سين- كنا نصرف الوقت في الإصغاء إلى جعجعة الطواحين الجوفاء التي تدور من غير طحين والحوار الفارغ والهذر والثرثرة.. إلى جدول لا ينتهي عن الدجاجة والبيضة أيتهما كانت السابقة. أين هم الرؤساء والروّاد والمرشدون؟ أين هم اليوم المتنورون والكتاب والأدباء البواسل أين هم أصحاب

[٦] - اسم الله جل جلاله باللغة الكردية القديمة.

القلم الميامين؟ لقد سهوا عنك وأسدلوا عليك ما شاءوا من ذيول النسيان... أولادك أيضاً لم يتخلفوا عن نسيانك... لقد نسوا "أم الشهداء". إن "صورتك" التي توزّع وتنشر مرة لا حركة فيها ولا حياة. لا يكلف أحد نفسه عناء السؤال عن صاحبة الصورة. ما اسمها.. وماذا فعلت وأية معجزة صنعت؟

أمااااه... مكرهٌ أنا يا أماه لا حيلة لي إلا في العتاب والملام... ففي حلقات الطبالين والزمارين لا تذكر إلا أسماء الرجال... ليس للمرأة فيها نصيب... فيها ينصبُّ المديح والثناء الحسن كله للسادة وأصحاب الثراء، وذوي الجاه... ولكن مهلاً يا أماه لا تبتئسي ولا تيأسي.. أنا أعلم أن المثقفين والمتنورين لم يبالوا بمأثرتك.. لقد صنعوا من البعض أبطالاً.. وطرحوا البعض الآخر تحت الأقدام.. أجل يا أماه.. هذا هو شأننا نحن الكُرد وهذا هو ديننا ودأبنا. إننا إن شئنا أقمنا حلقة رقص دون طبل أو مزمار وفي وسعنا أن ننفخ في مزامير الغير ونقرع طبولهم ونرقص على أنغامهما... أماه.. لقد نسي ذِكركِ لسبب وحيد، لأنك كنت امرأة...

لقد كنتِ من أسرة فقيرة، أسرة مشغوفة بوطنها شديد الحب بقومها. طوبى لأولئك الصحفيين الغرباء أولهم ألف تحية وإكبار وتقدير في مجلة :(المصور) المصرية .. لأنهم أشادوا بذكراك – قبل ان شيد بذكراك أبناؤك- ونوّهوا بمآثرك ووضعوها نصب أعينه العالمين...أماه... أولئك الكرام لم يكونوا من أصلاب كردية. ولكن ماذا فعل الأكراد؟...

ومما يؤسف له إن الزمّارين والطبالين قد كثر عددهم، ولكن لا يجشمون أنفسهم مشقة البحث عن الحقيقة وتدوينها كما ينبغي لها أن تدّون. وإعطاء كل ذي حق حقه... ولكنني مؤمن أعمق الإيمان بان تاريخ شعبك لن يغضّ الطرف عن بطولتك النادرة ... وسوف يرعى الشهداء ويرعى أم الشهداء ويضع الأمور في مكانها الصحيح.

في أيامنا هذه يسترجع بعض أبنائك النجباء غابر تاريخهم ويعودون إليه. ولا ريب أن ذكراك ستبقى خالدة ولن يُنسى اسمك بعد الآن، لان اسمك سوف يكتب بحروف من الذهب والعسجد.

اجل.. اجل.. يا أماه... صحيح إن شقيقي "محمد" قد نال من ذاك الجحيم.. وشفيت حروقه بعد أمد من الزمان.. ولكنه لم تشف جراحاته وكلومه وحروقه المتوغلة في أعماق نفسه.. كانت حركاته وسكناته.. ذهابه وإيابه، جلوسه ونهوضه وحياته كلها أسىً ولواعج وآهات.. كانت رهبة نار "السينما" ورهبة خيال الشياطين ورهبة المردة والأبالسة كانت ترسخت في فكره وترسبت في أعواره وتمكنت من سائر حواسه.. ولم يملك حيلة في دفعها والخلاص منها. كانت تلك الجذوة في نفسه تزداد ضراوة تخالطها استغاثة الصغار المحترقين، فلا يزداد "محمد" التياعاً ورعباً وألماً.

والأدهى والأمّر من ذلك ان والدي كان يتحمل جراء ذلك هماً دفيناً وآلاماً مبرحة، يوليه جل وقته واهتمامه... لم يدع طبيبا دون

ان يعرضه عليه... لم يدع دواء لم يعالجه به ولم يدع مزاراً أو ضريحاً للاستشفاء والتماسا للمعافاة... وعبثاً كان سعيه. أماه... وا أسفاه ... لقد قضى والدي نحبه حسرة، ثم قضيتِ نحبك شهيدة بداء الحسرات والآلام. وكأنما كان بينك وبين أخي محمد عهد أن يلحق بك فرحل دون كلمة دون أن يودعني دون أن يقول شيئاً...لقد رحل عن هذه الحياة صامتاً دون وداع.. وتركني وحيداً .. اجل .. لقد تركني وحيداً.

وكل ما اعلمه ان آخر جذوة من نار حريق سينما عامودا انطفأت مع رحيل هذا الشهيد ومغادرته هذه الدنيا.

رسالة من الكاتب دلاور زنكي
إلى صحيفة ميديا الغراء

إلى هيئة صحيفة ميديا الغراء وإلى كل من يمت إليهم بصلة أقدم شكري وامتناني وحفاوتي الكريمة التي اسبوه علي المتمثلة في الجائزة السنية والنفيسة التي لا تقدر عندي بثمن. كان ذلك من عهداً غير ببعيد فممتلئة نفسي آنذاك غبطة وحبوراً وفخاراً. واليوم- وكأن أصحاب المجلة هذه الغالية الكرام أبوا الا ان يجددوا عهدهم بالرعاية والبذل فرصعوا صدري بوسام جديد إذ منحوني جائزة (ميديا) الثانية التي جعلتني عاجزاً عن رد جميلهم والوفاء بأداء واجب الشكر كما ينبغي لي. ولكنني ورغم كل شيء لا أستطيع ان اكتم ما في نفسي من سعادة، ومن اعتزاز بـ (ميديا) التي استطاعت ان تتبوأ مكانة رفيعة في زمن وجيز وتغدوا منبراً للفكر والأدب، ونبراساً للمعرفة والعلوم. متمنياً لها مزيداً من النجاح والفلاح، والسمو والازدهار. شاكراً لأهل (ميديا) لطفهم وصراحتهم وحسن ثقتهم بي. لهم مني خالص المودة والإجلال والتقدير.

دمتم ذخراً لكردستان والشعب الكردي البطل.

دمشق أخوكم المخلص

٢٠١١/١٠/١٠ **دلاور زنكي**

اقتفيت الأثر

شعر: دلاور زنكي

ترجمة: توفيق الحسيني.

في بلاد الشمس

على ساحل البحر الأبيض

في البلد المقتول "المغتال".

لدى الطود الذبيح "من الوريد إلى الوريد"

وعلى الوهاد والسهوب "المشنوقة"

وعلى رائحة النجيع المستشاط

تعقبت خطوات رؤياي.

في المشرق

أنا البدر التمام "القمر في أوج كماله"

نحن أبناء سبيل على درب جريح

أنا.. ويراعي... وكسرة خبز

في أحشاء الليل

في كبد السماء

سالكون على مسالك منهارة

وخطواتنا وئيدة وَسْنانة

في ظل جدار مصمت أصم

أيقظت يراعي.

لكنّ قافلة من نجوم

حطمت مرآة أحلامي...

أَطارت عصافير أفكاري وتأملاتي.

في مقلة الليل الدامس "الضرير"

المسربل بالأحلام

استلبت رغائب يراعي

أحالتني إلى خرائب وأطلال

ولكنني تعقبت الأثر.

أنا ويراعي

وأسراب من الهموم والأحزان

وصرير القلم

وصوت قضم خبز حافٍ

ولسان دون روح

وخطوات مكلومة "متعثرة"

من سنوات من غير فصول "عجاف"

حملوا نعش الأزمنة الخديجة

على كاهل الأموات.

ولكنني تابعت اقتفاء الأثر.

صار لنا الليل والنهار أرجوحة.

في زوايا دوران الفلك

يجهزون على أوصال الزمن

وفي سهل "ماردين"

إزاء محيّا وردة "دوّار الشمس"

وأمام براثن الشمس اللافحة

تحت ظل "عابس" دون ابتسامة

ونار لاغبة- باردة

وجداول محتبلة وأسيرة

في سهب النداء والصراخ

بنعال أحلام يراعى

تعقبت الأثر.

أولئك الحاقدون الحاسدون

بعثروا وكراً في جمجمة ذكر من الحجل

وفي دوّامة الأحداق

تعقبوا أثر الدماء...

وأمام صقيع عواطفي

أوقدوا قناديل أفئدتهم

إزاء نوافذ أزمنتي

درسوا أزمنة بيادرهم

وعلى أجنحة أحلامي

ندفوا أحلامهم

وأمام غابات وواحات أمنياتي وأفكاري

زرعوا حقولهم و "بساتينهم".

وإزاء دفء أفواه كلومي "جراحاتي"

جففوا جثث عبراتهم

وعلى موسيقى آهات دمي

أداروا كؤوس الراح.

أما أنا

فعلى رنين الكؤوس

تعقبت الأثر.

في خضم المنفى

في الأماسي المتهرئة

في النداءات الطليقة

في الجبل الأشم

تحررت ذكور الحجل

من الأغلال والأصفاد التي علاها الصدأ.

وأعدت مزاميرها وسوّتها

ثم أعلنت بلحنٍ جديد وصوت جديد

وبقلب حر عن البشارة

بقبلة القمر التي جلبتها معها.

٢٠١١/٥

ثملٌ أنا نشوان

خَمِرٌ، ثمل، نشوان

إذ أبصرت الغادة السمراء

مثخن الجِراح من بواتر الحبيبة

وسهام لحاظها.

موثق أنا في أحابيل الحلوة الحسنان

مثل "العاشق" مَمْ في أغلال زين.

هائم، سادرٌ أنا جراء عشق

ذات المحيا الدرّي.

حائر، تائه، مشتت اللب

مذ حسوت كأس مدامها صِرْفاً

أنا اليوم ملتاع الفؤاد

لا أدري هل كان ذلك حلماً

اذ غمرت الجيد والنحر بالقبلات

وهل كانت تلك الليلة خاتمة

عشقنا وهوانا.

الوردة الحمراء

أفِقْ أيها الفؤاد . فما أعظم البشارة

وما أروع ما سمعت . ألا ترى ؟

ألا تبصر؟

إنها ليست رئياً ولا أضغاث أحلام

إنما وردة الرياض هي الوردة الحمراء

لها لون الدم القاني

ولها من بين الورود- العذوبة والجاذبية

إنما وردة الرياض هي الوردة الحمراء

على محياها ألق الندى كما يسطع قنديل ويتألق

وكما يلمع نثار العسجد ويشرق الدر

إنما وردة الرياض هي الوردة الحمراء

يا لرهافتها والتساوق والأصالة

وأنا العاني الأبدي في أحابيل هواها

الأسير في شراكها.

إنما وردة الرياض هي الوردة الحمراء

فأعترف أيها القلب عاشق موغل في عشق قديم

موغلٍ في القِدم.

إنما وردة الرياض هي الوردة الحمراء.

رسائل أعتز بها

إلى دلاور زنكي

من صَوْب جِلَّقَ صُداحٌ يسهدني

هتافُ الحجلِ المرنُّ يؤجِّجني

يجذبني وجداً.. إلى عالم العشق يطوّحني

يشجيني.. يشتتني

رسالة "دلاور" تزعزعني.. تضعضعني

فأنا اليوم مضطرم مضطرب كماء دجلة

رسالة "دلاور"، تثير كوامن عشقي وحنيني

أهدى إليّ شعاعاً من حبور وانتشاء

فإذا نحن ثملان من كأس واحدة

مبدَّد ذهننا وفكرنا

تنكّبَ قوس شرف الدين

رنا إليّ بعيون حوراء

توغلت الحوريات إلى سويداء القلب وصميم الكبد

فأنا اليوم جريح ثلاثة سهام

لقد كان مغواراً في ساحات الوغى

وفي ميدان الهوى

ممتزجاً بالعشق

فإذا هو والحب شيء واحد

وكان مؤمناً بقضيته وفياً.

أما أنا فرهين أحبولة

شهم نبيل... متحفز.. همام.

هو الذي يحذو حذو "جلادت"

حامي ذمار اللغة والكلمة.

وأنا رفيق دربه

إنك من أعضا مدرسته

أنت وحدك الطائر المغرد في أيكته.

أنت المنسق في عالم المعرفة

والنحو.

شكراً لرب الهامة الشامخة

والنظرة الثاقبة

والبراع الفذّ

فإني أراه في رياض النظم والألحان

وفي عالم الفكر والبيان

لي معلماً ومرشداً واستاذاً.

الشاعر أحمد شيخ صالح

١٩٩١/عين ديوار

ترجمة: الشيخ توفيق الحسيني

الى دلاور زنكي

أيها الفتى الهمام النبيل

أيها الباسل اللبيب

أيها الكريم الماجد الجواد

يا رابط الجأش يا حديد الفؤاد

يا دلاور زنكي

يا شاعر الأكراد

إن الشعب مفتقر الى روّاد مثلك

فبأضوائك يستنير

كم تعلّم أناسينا من شعراء مثلك

كم هديتهم الى سواء السبيل

كم تفرقوا شيعاً واحزاباً.. كم تنازعوا

وكم تناحروا

لأنّ الطغاة استأصلوا شأفة العلماء

وأغفلوا كل جاهل وما مُسوا بسوء

عندئذ هبّ الشعراء وهتفوا:

استفيقوا أيها الراقدون، فقد طال بكم المدى

فاستفاقوا

لقد جاهد جكرخوين وناضل بقصائده، ولم يلق سلاحاً

حتى الرمق الأخير

وذاك الشاعر العظيم العلامة التحرير: أوصمان صبري

ما ادخر وسعاً وما ألَى جهداً.

أنت وصنوك "تيريز" يفيض كلامكما عسلاً وشهداً

وها أنتما من بعد جكرخوين تشعان كالفجر.

أبداً.. ينوء الشعراء بالعبء الثقيل

في كل الجهات من "لور" و "سور" و "كوران" و"زاز" وبادينان.

أيها الرفيق "دلاور"

إن الكرد لن يفلحوا دون أدب

ولن ينالوا أرباً.

إن شعباً من غير شعراء

حريٌّ به أن يكون مغموراً، جاهلاً.. مضطهداً

لقد جبت العالم برمته، كل رقعة وبقعة، وجربت كل انواع

العشق فلم أجد أرضاً مثل كردستان

ولم يجد قلبي حبيبة مثلها.

الشاعر يوسف برازي "بي بُهار"

١٩٨٥/٧/١٩م

ترجمة: الشيخ توفيق الحسيني

إلى دلاور زنكي

لك البشرى يا "جكرخوين" الكرد

أيها المعلم الخالد.. أيها المرشد الحكيم

فإن المربع الذي رحلت عنه لم يعد خاوياً

فها هو "دلاور" يمتطى حصان الشعر،

ويقوم مقامك

بعد رحيلك.

وها هو الأدب الكردي مزدهر كما كان

لم تخلُ منه أمصاره ومدنه.

لقد ناب عنك في حمل اعبائك الباهظة

فارقد أيها المعلم الكبير ونم قرير العين هانيء البال

فإن "دلاور" يرفع رايتك باسقة شامخة

ذاك الفتى النبيل الرائع.

ملك الحب،

المتربع على عرش العشق والجمال.

الشاعر تيريز

١٩٨٥/٦/٢٢م

ترجمة: الشيخ توفيق الحسيني

كانت السيدة الفاضلة **روشن بدرخان** – وهي سليلة أمراء بوتان- شديدة الحدب والعطف على الأدباء والكتاب والشعراء، لا تألو جهداً في الأخذ بيدهم وحثهم على المثابرة والسير صعداً نحو المزيد من العمل الابداعي، مستخدمة سلاح الكلمة الطيبة والثناء الحسن.

وفي مايلي (تقريظ) وجهته إليّ بخط يدها نثبته هنا عرفاناً بالجميل وشكراً على أياديها البيضاء.

دلاور زنكي

دمشق/٢٠٠٩

لا يكفي ان تفتح الحياة بابها في وجهنا فالباب مفتوح في وجوه الكثيرين على السواء... ولكن قلّ مَن يلج الباب... وقلّ مَن ينعم بما في داخل القصر العظيم –الحياة- من نفائس...

لم تكن أبداً من أولئك الذين ارتضوا بالنظر الى الداخل وأنت على العتبة بعينين مليئتين بالإعجاب والدهشة... بل دخلت وغامرت وصرفت ساعات غالية من راحتك لتقوم بعمل ترضي به ضميرك وتنفع به شعبك... قمت بعمل جدير بالثناء والتقدير بارك الله فيك واكثر من أمثالك...

الحياة يا بني هو العمل... والعمل هو هدف الانسان الذي يسعى نحو الكمال بغاية أصيلة في أعماقه لا يتوانى بالتضحية في الوصول اليها...

لا شك انك ضحيت بالكثير حتى وصلت لترجمتك هذه وبذلت جهداً جباراً... طوبى لك... ان سعيك أتى ثماره الأولية التي ستكون ولاشك نواة لثمار يقطفها سواك وأنت سعيد....

سر على بركة الله ولتكن اعمالك وجهودك نبراساً لتستضيىء ويضيىء بها مَن حولك فتقلل من وحشة النفوس وتبعث الأمل من جديد بأننا شعب جدير بالحياة وسيكون له كل شيء في هذه الحياة.

طريقك طويلة وقد تكون شائكة وعسيرة إلا أنك ستتخطاها بالعزم والإيمان ولابأس عليك ان كنت ضحية ولست جلاداً...

ان القلم هو خير سلاح لأمة عاشت السنين الطويلة مقهورة لا تجد لها مكاناً على الكرة الأرضية.. ثق بان قلمك وقلم أمثالك ستمهد الطريق نحو المبتغى..

فالى الأمام قواك الله وسلمك وعافاك.

روشن بدرخان

بانياس/١٩٨٩

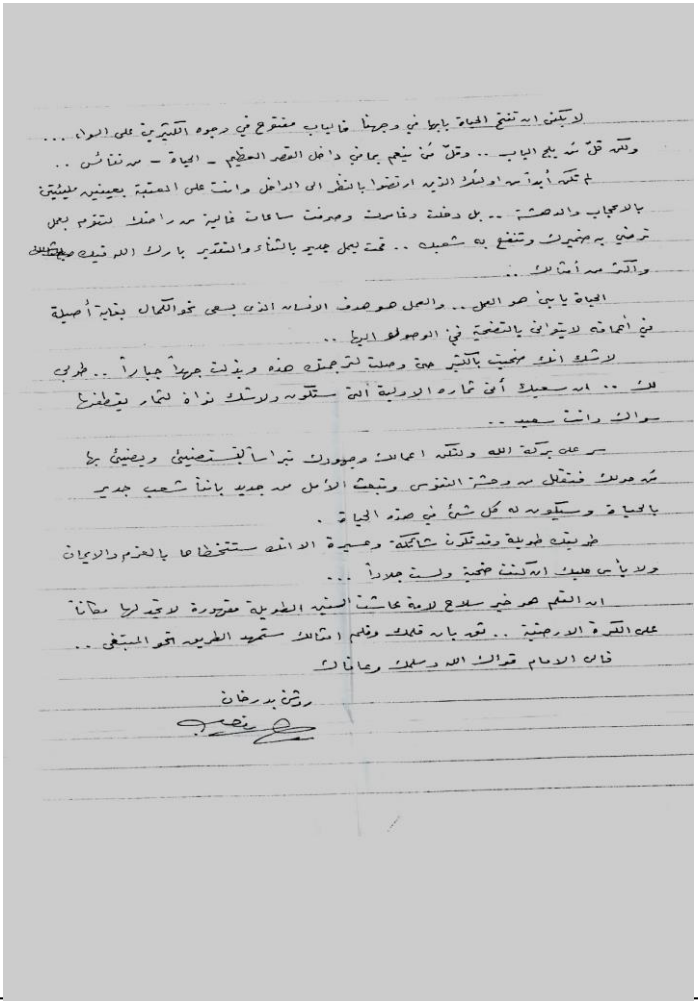

لا يكفي ان تفتح الحياة بابها في وجهنا فالباب مفتوح في وجوه الكثيرين على الدوام ...
ولكنه قرع الباب .. وقرر ان يقيم بعالمي داخل القصر العظيم - الحياة - مهما تكاليف ..
لم تكن أيدي من اوكلوا اليه ان ينظروا بالنظر الى الداخل وانت على الدكة يعينيه مليئتين بالاعجاب والدهشة .. بل دفعة وفاجأت وصرفت ساعات قليلة من وقتك لتقوم بعمل ترضي به ضميرك وتنفع به شعبك .. فمت بعمل جديد بالثناء والتقدير بارك الله فيك وجزاك عنا أمثالك ..

الحياة يا بني ضد العمل .. والعمل هو صدف الانسان الذي يسعى نحو الكمال بداية أصيلة في أعماقه ليتراءى بالتضحية في الوصول اليها ..

لا شك انك سعيت بالكثير جدا وصلة لترجمتك هذه وبذلت جهداً جباراً .. فهنيئاً لك .. انه سعيك أن ثمارك الدولية التي ستقوم ولا شك نراه لتجاوز يقطف ثمارك وانت سعيد ..

سر على بركة الله وتقبله اعمالك وجهودك نبراساً لتضيئ ويضيئ بك من حولك فتقتل من وحشة النفوس وتبعث الأمل من جديد باننا شعب جدير بالحياة وسيكون له كل شئ في هذه الحياة .

طريقك طويلة وتتقدم شائكة وعسيرة الا انك ستتخطاها بالعزم والايمان ولا يأس عليك انك ضحية ولست جلاداً ...

انه لقلم حر خير سلاح لامة عاشت السنين الطويلة مقهورة لا تجد لها مكاناً على الكرة الارضية .. تقدم يا بنة قلمك وقلم امثالك ستعبد الطريق نحو المستقبل ..

قالت الايام قولك الله وسلك وعيانك

روشن بدرخان

نص الرسالة بخط يد الأميرة الجليلة روشن بدرخان-١٩٨٩م.

تُهدى إلى : دلاور زنكي

من الثغر تنهمر الورود

ينساب اليراع أدباً

يحوك الداء العضال

ثابرْ على التغريد كالبلبل

حتى يطل ربيعنا

طوبى لك يا "دلاور"

إذ ألقيت في القلوب لهباً وسعيراً

يا إمام المثقفين

أسهبْ في سرد الهموم

على متن بحر الرياض

أنت جوهرة نفيسة

أيها الفنان الغالي

أيها الصديق العزيز

ما أبهاك وما أروعك.

لست أكيلَ لك المديحَ

لكنك زاخرٌ بالدرر

إنك تنير لأمثالي "السبيل"

بقصائدك الثورية

يا دلاور أيها الفتى النبيل

أنت عاشق للوطن.. مفتون به

أهديك هذه القصيدة

فمعذرة إن جاءت متأخرة

أنا أيضاً غدوت مثلك

بلبل الشجن.

تطحن قلبه الأكدار

كان جكرخوين يدعو إلى تحرير البلاد

لكنه رحل.. حاملاً حلماً لم يتحقق

أقول هذا للذكرى وحسب يا "سيدي"

انهضوا أيها الصناديد الأبطال

اهتفوا في مسامع الدنيا

فلنتحد جميعاً تحت قبة الوطن

إننا اليوم ليس لنا حرية

في هذا العالم نزع حياء.

لاجئون نحن جميعاً مشردون.

ليس لنا من مكان

نموت فرداً فرداً

نتحسر علينا قلوب المحبين والأصدقاء

لنسحق الظلم

كفانا جوراً واضطهاداً

إلى متى نظل أسرى..؟

واغوثاه....

الشاعر والفنان عبدالرحمن موشي- ألمانيا

ترجمة: الشيخ توفيق الحسيني.

إلى دلاور زنكي

منذ الأزل ينبعث نداء الحجل

وقد أقسمنا بالفرقان

أن نتشبث بالحرية مدى الحياة

الرّواد العظام لا يموتون

قدوتنا الشيخ سعيد وقاضي محمد

كلاهما في القلب خالدان

طابت أوقاتك أيها الأخ

ولتكن أيامك رخية وأنت

في عيشة راضية

ولتكن خالي البال.. هانئاً سعيداً

لك كل أشواقي وتحياتي أيها

الشقيق الغالي... أيها النبيل: دلاور زنكي

لقد عاهدتك على الصداقة والوفاء

فاهلاً بك يا دلاور

إنني بلبل يا دلاور

دائم التغريد والإنشاد

أنا الحريص يا دلاور

العاشق التوّاق إلى الحرية

المطلقة

كاسف القلب... عاشق أنا

أشدو هياماً بالوردة

ولن يمض لي جفن

قبل مَقْدَمِ الحرية.

الشاعر والفنان عبدالرحمن موشي

ألمانيا ٢٠١١/٥/٢١م.

ترجمة: الشيخ توفيق الحسيني.

إلى المعلم دلاور زنكي

أيها المعلم...

يا طائرَ "الباز" الحرُّ في سماء وطنيِ
أيها الثائرُ و الباسلُ والنقي القلب واللبيب الفكر
أيها المبدع أراك تتلئلئ كنجمة في سماء بلاديِ
أيها الإنسان النبيل الطاهر .. أيها المثقف المكافح

أنك شعلة تنير ظلام بلاديِ
أنت الفتى الشاعر الدامي جكرخوين
وذكرى تيريز و زازا و أوصمان صبري وروشن بدرخان
أيها المتنور الكوردي أعطيت للحياة الروح والبهجة
شعراً.. وثقافةً... وأخلاقاً.... وأدباً... وجمالاً
أيها الغاليِ إنك شعلة الحرية لشعبك الكوردي المضطهد
أيها الكريم بكل ما تحمله في قلبكَ لعشق الوطن

وحب الخير والانسانية... والتسامح والعطاء ...

أيها المعلم...
أنت بشرىَ منذُ ولادتك

بشرى لشعبك ولوطنك

بشرى لفجر يوم جديد

حَرر شعبك من قيود الذلِ والظلم
ما أروعكِ يا عاموده وما أبهاك يا دلاور
يا عاشق الوطن أيها الطائر الحرُ فيِ سماء وطنيِ
أيها المناضل الثوري

أنك القلب النابض للكتاب والمثقفين
أنت رائداً ورسولاً للثقافة الكوردية
ما أجمل فصاحة لسانك..وبلاغة كلامك
أنت الينبوع من الدرر والجواهر
أنت عطرُ الورد والزهر من رياض بلادي

قامتك عالية وشامخة شموخ جبال بلادي
أنت شجاعٌ القلب والفكرِ والقلمِ
أنت أيها المعلم يا دلاور.

الشاعر أحمد مصطفى – السويد.

الأخ الحبيب الغالي دلاور...

الرفيق المكافح المتنور العزيز... هذا هو مجتمعنا الشاذ الغريب، ذو المفارقات العجيبة... إنه أشبه بطائر يبيض متى شاء ويلد متى شاء.. لقد غدت عائلتكم فداء وقرباناً لحرية الكورد. إلا أن الآلاف أمضوا حياتهم في هوان وغدر وهمجية وذل. ألف تحية وسلام لروح أمكم الشهيدة التقية الطاهرة.. ألف تحية وسلام وتجلّة لوالدك وإخوانك وذويك الذين أنجبوا فتى مثلك ذا علم ومعرفة، مناضلاً، مجاهداً و وهبوه للشعب الكردي.

دمت بخير أيها الرفيق الغالي النبيل.

البروفيسور جمال نبز

- ألمانيا- برلين

١٣/تشرين الثاني/ ٢٠١٠

الكاتب والشاعر الكردي المعروف دلاور زنكي

الكاتب والشاعر الكردي المعروف **دلاور زنكي** ابن البطلة فريدة علي (أم الشهداء) كتب عن حريق سينما عامودا باللغة الكردية حيث أن **دلاور زنكي** مشهور بكتاباته التي يكتبها بلغة كردية سهلة الفهم على القراء وبنفس الوقت محافظاً على قوة اللغة الكردية النحوية والاصطلاحات الكردية القديمة الرائعة فيتمتع بأسلوب رائع يعبر عن الأدب الكردي المتميز أصدق تعبير.

الدكتور جواد ملا- بريطانيا

تحية طيبة إلى الشاعر والكاتب الكردي الكبير "دلاور زنكي".

كم فرحت وسررت بكتبك التي وصلتني، وكم انشرح صدري لها، إنك عظيم يا **دلاور**، وإن شعبنا الكردي بحاجة إلى أمثالك من الأدباء.

فحضارة الشعوب تظهر وتنتقل من جيل إلى آخر بأدبها وأدبائها، ولقد منحت مسيرة الأدب الكردي نوراً وضياءً، وأكملت الطريق بجهدك وعطائك.

وكم أتألم بسبب مرضي فلا أستطيع التمعن والتفكير في كتبك وإنتاجك الأدبي فاعذرني يا شاعر الكرد فأنت تستحق الكثير من التقدير والثناء الذي لم أعد قادراً عليه، وليت هذه الكلمات البسيطة تعبّر عمّا بداخلي فقلبي مليء بالمشاعر والأحاسيس التي يعجز القلم عن وصفها.

وشكراً لك، وأتمنى لك المزيد من النجاح.

ودمت طيباً في خدمة شعبك وقضيتك.

الشاعر واللغوي ملا نوري هساري- قامشلي

إلى والدة الشاعر دلاور زنكي فريدة علي، السيدة التي من سلالة الأشراف في كردستان المباحة، نزلت بحبها الشفيف، مع العم إسماعيل العاشق لترسم قلباً من سفرجل الرحلة، إلى ديار الروح، السيدة بكامل روحها أنقذت العشرات من أطفال الحريق المجاني في دورانه الغائب، أخي الذي بلحمه الطري على يديها الطاهرتين كما غيره من الصبية. وإبنها في سهو الجدار، حتى البكاء، كانت أمي ترسل معي لها طعام العشاء تيمناً بالحب والنذر القرين، فكانت ترسله معي أيضا لأحبة في الجوار وهي تضحك من سذاجة أمي، كما ضحكت المدينة من رونق شالها الأخضر خالتي فريدة بل أمي، يا توت عامودا، وحريقها الآن.

الكاتب يونس الحكيم

نبذة موجزة عن سيرة حياة دلاور زنكي:

-ينتمي الكاتب والشاعر الكُردي **دلاور زنكي** إلى أهالي كُردستان الشمالية (قضاء شيروان –ولاية سيرتي، قرية "قومك") من عشيرة الدوميلية .

- وإبان الحرب التي نشبت بين الحكومة الروسية القيصرية والإمبراطورية العثمانية آنذاك هاجر جده "محمدي عمي" مع سائر أفراد أسرته من القرية لأسباب سياسية متوجها إلى الجزيرة. وفي أثناء هذه المسيرة توفي "محمدي عمي" في قرية من قرى "ويران شهر"، واستقر ولداه: إسماعيل عمي "والد دلاور" وشقيقه "عمي" في مدينة "عامودا " وسكنا فيها على مقربة من دار "سينما شهرزاد" التي غدا اسمها على كل شفة ولسان في معظم إرجاء العالم بعد أن احترق فيها مئات الأطفال.

- فتح دلاور زنكي عينه على الحياة في عامودا بعد مرور ثمانية أشهر على نكبة السينما عام ١٩٦١ واحد وستين وتسعمائة وألف ميلادية .

-وفي عام 1979 توفي والده إلى رحمة الله تعالى، وفي العام نفسه بدأت تجربته الكتابية أطلق لقلمه العنان لنظم القصائد وكتابة الشعر.

-نشا وترعرع في كنف أم رؤوم محبة لقومها مقدسة لوطنها مستعدة دائما للتضحية في سبيل الحق والإنسانية، وتبذل الحب

للجميع. وكان لهذه الأم "فريدة علي-أم الشهداء" أثرها البليغ في مسلكه السياسي وحياته الأدبية. وقد تكبدت في هذا السبيل المضني مشقة كبرى وعناء عظيما.

-وكان لسماحة الشيخ البار بوطنه وأبناء شعبه: صدر الدين بافي كال (الحسيني) دور بارز ومهم في نشأته الأدبية الأولى حيث كانت من عنده الخطوة الأولى نحو عالم الكلمة والكتابة. وعلى يده تلقى الأبجدية والكتابة باللغة الكردية.

-زاول مهنة التعليم مدى عامين في قرية "كرسور " .

-وبسبب ظروفه الصعبة اضطر للهجرة إلى مدينة دمشق وأقام فيها عام ١٩٨٠.

-مارس العمل في جامعة دمشق كـ/موظف/ ثمانية أعوام، ثم استقال من وظيفته ليتفرغ للعمل الثقافي والأدبي واللغوي الكردي.

-كانت أعباؤه في السياسة جسيمة وباهظة ودوره في هذا المجال لا يجهله أحد.

-ساهم بنشر وفتح دورات لتعليم اللغة الكُردية بين الكُرد القاطنين في دمشق.

-غيّر كتابة عدة دواوين لشعراء كبار مثل ديوان :"خلات و زوزان و جودي ومولد النبي" و "طرائف كردية" للشاعر

"سيداي تيريز" وديوان "زندان" للشاعر: "بي بهار" من الأبجدية العربية إلى الحروف اللاتينية الكردية. وساهم بنشر زهاء ٢٠٠١\ مائتي كتاب تبحث في الآداب والتاريخ والأدب الشعبي و النقد في سوريا .

-في عام ١٩٨٧ م عرف "روشن بدرخان" والتقى بها وتنشأ بينهما علاقة مودة كعلاقة أم بأحد أبنائها.

- ساهم بنشر بعض من الكتب التي ترجمتها "روشن بدرخان " مثل: (مذكرات صالح بدرخان) و (رسالة إلى مصطفى كمال باشا- لجلادت بدرخان) و(مذكرات امرأة ج٢)، و (الأمير بدرخان- ترجمة علي سيدو كوراني) وسواها .

-في عام ١٩٩١ بعد انتفاضة " كُردستان الجنوبية " سافر إلى كُردستان حيث عقد فيها عدة نشاطات ثقافية وأدبية .

-عمل في بعض الصحف والمجلات الكُردية محرراً .

-إضافة إلى الكتابات الأدبية والنقدية و البحوث التاريخية والاجتماعية والسياسية. لا يزال يزاول العمل الصحافي في عدة مجلات وجرائد .

-ينشر كتاباته وأعماله الأدبية في جل المواقع الالكترونية الكُردية باللغتين العربية والكردية .

-في عام ١٩٩٩م نال جائزة "ريزنامه" من صحيفة "ميديا" التي يصدرها (YNDK) في كُردستان الجنوبية .

-أقامت معه اغلب الفضائيات الكُردية مقابلات وحوارات تهم جوانب ثقافية واجتماعية وأدبية ولغوية وسياسية.

-في الثاني عشر من تموز عام ألفين ٢٠٠١\٧\١٢م، سافر إلى أنقرة ممثلا عن لجنة "جائزة اوصمان صبري" التكريمية حيث زار البروفيسور التركي إسماعيل بشيكجي حاملا إليه الجائزة.

-وفي عام أربعة وألفين ٢٠٠٤م توجه إلى باريس باسم لجنة " جائزة اوصمان صبري " ليقدم هذه الجائزة إلى السيدة دانييل متران .

-وفي ثمانية وألفين ٢٠٠٨م زار ألمانيا عن لجنة "جائزة اوصمان صبري" لينقل الجائزة للأستاذ الفاضل منذر الفضل .

-في عام ٢٠١١م /مرة ثانية/ نال جائزة "ريزنامه" من صحيفة "ميديا" التي يصدرها (YNDK) في كُردستان الجنوبية.

-في عام ٢٠١٢م – نال جائزة "جمعية جلادت بدرخان" للثقافة في قامشلو.

-في عام ٢٠١٣م – نال جائزة "جمعية شاوشكا" في القامشلو.

-في عام ٢٠١٧و٢٠١٨ نال جائزة الحرية "جائزة مشعل تمو" في القامشلو.

- وكانت له صلات وثيقة ووشائج مكينة تربطه بالشاعر (تيريز) و الشاعر الكبير (جكرخوين)، والشاعر يوسف برازي (بي بهار)، والأديب (أوصمان صبري)، والأديبة (روشن بدرخان)، والمؤرخ (حسن هشيار)، والشاعر (كلش)، والشاعر (عمر لعلي)، والكاتب (رزو)...

-رئيس اتحاد الكتاب الكرد- سوريا من عام ٢٠١٣- ٢٠٢٠م.

-أصدر أكثر من (٤٠) كتاباً في مجال القصة والشعر واللغة والفولكلور والأدب والتاريخ والترجمة.

بعض أعماله: ترجمة – تأليف – إعداد:

١- ديوان شعر (بيداري= Pêdarî)، باللغة الكُردية، دمشق،تقدمة: الشاعر سيدايي تيريز، صدرعام ١٩٨٥م.

٢- مم و زين–أحمد خاني- بالأحرف اللاتينية- ١٩٨٥. بالاشتراك مع الشاعر تيريز. –غير مطبوع-

٣- قواعد اللغة الكُردية (اللهجة الكرمانجية)، جلادت بدرخان- روجيه ليسكو، ١٩٩٠. دمشق.

٤- حول المسألة الكُردية -جلادت بدرخان- أربيل- كُردستان. ١٩٩٠م، من منشورات جريدة ميديا.

٥- من عشق القناديل القديمة -عبدالرحمن مزوري- بالأحرف اللاتينية -١٩٩١.

٦- عذبة لي ومرة لناس -عبدالرحمن مزوري- بالأحرف اللاتينية -١٩٩١.

٧- شرفناميا منظوم -جكرخوين- بالأحرف اللاتينية -١٩٩٧- بيروت.

٨- مذكرات جلادت بدرخان-١٩٩٧-بيروت.

٩- أنا والنار-الشاعر هزرفان- بالأحرف اللاتينية -١٩٩٧- بيروت.

١٠- البدرخانيون في جزيرة بوطان - مالميسانز-١٩٩٨- بيروت. باللغة العربية.

١١- قبل بزوغ القمر-٢٠٠١- أربيل، كُردستان. ترجمة: توفيق الحسيني. باللغة العربية.

١٢- الكاتب الكُردي قدري جان-٢٠٠١- أربيل- كُردستان. باللغة العربية.

١٣- مذكرات أوصمان صبري-٢٠٠١. باللغة العربية-بيروت.

١٤-الكاتب قدري جان-باللغة الكُردية- طبع في اسطنبول ٢٠٠٤.

١٥- مذكرات أوصمان صبري-٢٠٠٥. باللغة الكُردية- بيروت.

١٦- معارك صاصون-أوصمان صبري- باللغة الكُردية - ٢٠٠٥-بيروت.

١٧- التاريخ الفولكلوري لامارة بوتان- ملا خلف بافي- باللغة الكُردية. -٢٠٠٥.

١٨- الكاتب والشاعر قدري جان- باللغة الكُردية-٢٠٠٥- بيروت.

١٩- معارك ساسون- أوصمان صبري- باللغة الكُردية. اسطنبول ٢٠٠٥.

٢٠- رحيل الشاعر تيريز- ٢٠٠٥- المانيا. باللغتين الكُردية والعربية.

٢١- قصة المولد (Mewlûda pêxember)، تيريز- باللغة الكُردية. -٢٠٠٦- بيروت.

٢٢- ديوان شعر(وثن للعشق)، باللغة العربية.ترجمة:الشيخ توفيق الحسيني. دمشق.دار كيوان.

٢٣- طرائف كردية-٢-باللغة الكُردية- تيريز-٢٠٠٩. نشر في موقع تيريز نامه.

٢٤- أطياف الماضي -٢٠٠٩.باللغة العربية.

٢٥- مختارات (لقاءات وحوارات)، باللغة العربية. جزء(١)- ٢٠٠٩.

٢٦- مختارات (لقاءات وحوارات)، باللغة العربية. جزء(٢)- ٢٠٠٩.

27- بيناهي، باللغة الكُردية- بيروت-لبنان، مطبعة اميرال، عام ٢٠١٠م.

28- من أدب القضية- إعداد: دلاور زنكي و أحمد شهاب. الطبعة الأولى- خاصة. ألمانيا- برلين. ٢٠١١م. نشر في موقع دلاور زنكي.

٢٩- عبدالرزاق بدرخان، ترجمة دلاور زنكي ٢٠١٠م

٣٠- حكايات شعبية، روجيه ليسكو، ترجمة دلاور زنكي و توفيق الحسيني. ٢٠١٠م دمشق.

٣١- عثمان صبري حياته ونضاله واعماله، ٢٠١٢م

٣٢- قصة العلم الكُردي، دلاور زنكي، قامشلو-٢٠١٢م.

٣٣- تضاريس الأدب الكردي، قامشلو -٢٠١٤م.

٣٤- الأدب الكُردي بين الحقيقة والأمل، قامشلو-٢٠١٤م.

٣٥- دعاء اليزيديين، جلادت بدرخان، ترجمة دلاور زنكي ٢٠١٧م قامشلو.

٣٦- القراءة الكردية، كاميران بدرخان، ترجمة دلاور زنكي ٢٠١٧م قامشلو.

٣٧- من رذاذ الذاكرة، باللغة الكردية، ٢٠١٧م قامشلو.

٣٨- روشن بدرخان حياتها واعمالها، قامشلو ٢٠١٧م.

٣٩- روان، تأليف: دلاور زنكي، تقدمة: دلوفاني دشتي، مطبعة شلير قامشلو٢٠١٧م.

٤٠-نهضة الثقافة الكردية في مجلة هاوار١٩٣٢-١٩٤٣، د.حسين حبش، ترجمة: دلاور زنكي، دار النشر(دار)، قامشلو ٢٠١٧م.

٤١- كُرد وكُردستان عبر أسفار التاريخ، قامشلو -٢٠١٩م.

٤٢- ديوان شعر (كلستان)، مطبعة: بيلا ، قامشلو ٢٠١٩م.

٤٣- معارك ساسون، عثمان صبري، ترجمة: دلاور زنكي، مطبعة: بيلا ، قامشلو ٢٠١٩م.

٤٤- Qîrîna Mirinê، تأليف: دلاور زنكي، تقدمة: دلوفاني دشتي، مطبعة: بيلا ، قامشلو ٢٠١٩م.

٤٥- بداية الأدب الكردي –بحث- محمد أوزون، ترجمة: دلاور زنكي، مطبعة: بيلا ، قامشلو ٢٠١٩م.

٤٦- الفن في لوحات الشرفنامه، تأليف عبدالرقيب يوسف الزفنكي، ترجمة: دلاور زنكي، مطبعة: بيلا ، قامشلو ٢٠١٩م.

٤٧- المستضعفون الكرد واخوانهم المسلمون، جمال نبز، ترجمة:دلاور زنكي، مطبعة بيلا، قامشلو ٢٠٢١م.

الأعمال التي ساعد الأميرة روشن بدرخان بانجازها وقام بطبعها ونشرها:

١- مذكراتي-صالح بدرخان-دمشق-١٩٩١.

٢- الأمير بدرخان- لطفي- بيروت-١٩٩٢.

٣- رسالة الى حضرة الغازي مصطفى كمال باشا- جلادت بدرخان. نشرها: دلاور زنكي.

٤- مذكرات امرأة- الجزء الثاني-دمشق. دار علاء للنشر.

-له أعمال باللغة الكُردية والعربية كثيرة لم تنشر بعد.

وله موقع خاص على الانترنيت:

موقع دلاور زنكي:

www.dilawerkurdi.wordpress.com

الفهرس

اهداء ٥

المقدمة ٧

دور الأدب وأثره ١١

الأدب... ماهيته وتقييمه ٢١

منافع الأدب ومتعته ٢٩

العامل أو المحرض السياسي في الأدب ٣٣

الروايات التاريخية ٣٥

الرواية والتاريخ ٣٩

الرواية والحياة ٤٧

الرواية والمأساة- (التراجيديا)..... ٤٩

المأساوية في الأدب الكردي ميزة.. أم مأخذ؟..... ٥٥

الأدب الفانتازيا ٦١

الفن التمثيلي ٦٧

الأدب والنقد ٧٥

تسمية القصة "جيروك" ٨٣
القصة الكردية الأولى ٩١
غرب كردستان والقصة الكردية ٩٥
رائد القصة الكردية في مجلة هاوار ١٠١
جنوب كردستان والقصة الكردية ١٠٧
شرق كردستان والقصة الكردية ١١١
الكرد في الاتحاد السوفيتي "سابقا" ١١٩
الكماليون وأحوال اللغة الكردية ١٢٣
الى صديقي الكبير المفكر اسماعيل بشيكجي..... ١٢٧
بيان تضامني ١٢٩
البروفيسور جمال نبز أعماله وحياته ١٣١
يوسف ملك علم من أعلام الفكر والسياسة ١٣٩
المعلم الكبير السياسي المخضرم اسماعيل عمو..... ١٥١
الى روح رائد الشعب الكردي الخالد بافي شيار..... ١٥٧
البلبل الحزين الفنان محمد شيخو ١٦١

الشاعر الكردي يوسف برازي ١٦٥
لا يعملون ولا يدعوننا نعمل ١٧٣
انطفاء الجذوة الأخيرة ١٨٣
رسالة الى صحيفة ميديا الغراء.....١٨٩
اقتفيت الأثر ١٩١
ثمل أنا نشوان ١٩٧
الوردة الحمراء ١٩٩

رسائل أعتز بها

الشاعر احمد شيخ صالح ٢٠٣
الشاعر يوسف برازي ٢٠٦
الشاعر سيداي تيريز ٢٠٩
روشن بدرخان ٢١١
الشاعر عبدالرحمن موشي ٢١٥
الشاعر عبدالرحمن موشي ٢١٩

الشاعر أحمد مصطفى ٢٢١
البروفيسور جمال نبز ٢٢٢
الاستاذ جواد ملا ٢٢٤
الشاعر واللغوي ملا نوري هساري ٢٢٥
الكاتب يونس الحكيم ٢٢٦

نبذة موجزة عن سيرة المؤلف ٢٢٧
اعمال المؤلف ٢٣١
الفهرس ٢٣٧